سلامة الحرف من الزيادة والحذف

د. فضل حسن عباس

مقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، نزّل كتابه محكم الآيات، قرآنا عربيا غير ذي عوج، والصلاة والسلام على نبي الهدى، الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان.

أما بعد:

فإن من أخطر القضايا الفكرية، تلك المتعلقة بكتاب الله تبارك وتعالى، وهي متشعبة الجوانب، متعددة النواحي، بعضها يتجه إلى جانب اللفظ، وبعضها يكتنف جانب المعنى.

ومما زاد القضية خطورة عناية كثير من غير المسلمين بالدراسات القرآنية، أو من المسلمين الذين يجدون مثلهم في أولئك المستشرقين، ومن هذه القضايا قضية الزيادة في كتاب الله تعالى، وهذه الزيادة كانت باديء ذي بدء قضية اصطلاحية تخص الحروف وحدها، أو بعض الكلمات المفردات من أسماء وأفعال، ثم تشعب الأمر فيها لتشمل الجمل والتراكيب.

ويشبه القول بالزيادة، القول بالحذف، وكلاهما ليس أقل خطرا من الآخر، لذا آثرت أن أتقدم بهذا البحث، أعالج فيه قضية الزيادة، وقضية الحذف، وسأخصص الحديث فيه عن الحرف فحسب، لأن جلّ ما قيل بزيادته أو حذفه، يتعلق بالحروف، هذا أولا، وأما ثانيا: فلأن هذه الأقوال قد شاعت وانتشرت في

كتبنا اللغوية والنحوية بعامة، بل في ثروتنا التفسيرية بخاصة، فكثيرا ما تجد هذه الأقوال زيادة وحذفا في مصادر النحو، ومراجع التفسير.

وهناك سبب ثالث، وهو أن أمر الحرف ذو صلة وثيقة بقضية الإعجاز، ذلك لأن لكل حرف رسالته في كتاب الله تعالى، فالقول بزيادته يجرده من خصائصه وصلاحياته، ومن ثم يجرد اللفظ من معناه، مما يذهب برونق النظم.

أما القول بحذف بعض الحروف، فلا يقل خطرا عن القول بالزيادة بل هما من حيث النتيجة سواء، ذلك لأن لكل حرف معناه، فإذا أردنا أن نقدر حرفا، ندعي أن الآية قد خلت منه، وأنه قد حذف منها، فمعنى ذلك أننا سنزيد معنى في الآية علىٰ غير ما يقتضيه نظمها.

وثمة سبب رابع، وهو أنني لم أجد بحثا مستقلا لهذه القضية الخطيرة الشأن.

وسبب خامس، وهو ما استغله الحاقدون على الإسلام، مستشرقين ومستغربين من مثل هذه الأقوال، التي قيلت أول ماقيلت عن حسن نية، نتيجة لتشادّ مذهبي.

وقد جعلته في تمهيد وفصلين.

أما التمهيد فأتحدث فيه عن مقدمات تظهر منها دقة اللغة في استعمال الحرف،

وأما الفصل الأول فسأخصصه للحديث عن الزيادة، كما سأخصص الفصل الثاني للحديث عن الحذف.

والله أسأل أن ينفع به، وأن يجعله في ميزان حسناتي ووالديّ وذوى الحقوق عليّ، إنه سميع مجيب.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

تمهيـــد

للعرب أوضاع عجيبة في لغتهم، إفرادا وتركيبا، فقد ينتقلون من معنى إلى معنى آخر بأقصر الطرق، وأيسر التكاليف، وربما كان بين المعنيين بون شاسع، قد يكون هذا الانتقال بتغيير حرف واحد، ألا ترى إلى ما بين الفصل والوصل من بعد، وكذلك الحنف والجنف، لأن الحنف إنما هو الميل إلى الحق، والجنف الميل إلى الباطل، وكذلك الفتق والرتق، فأنت ترى أن هذه المعاني المتباعدة كان الانتقال من أحدها إلى الآخر بتغيير حرف واحد.

وقد يكون هذا التغيير بواسطة حركة، لابواسطة حرف ألا ترى إلى قولهم: هُمْزة وهُمَزة، وضُحْكَة وضُحَكَة، فهي بالسكون من يهمز ويضحك منه، ولكنها بالفتح تقال لمن يهمز الناس ويضحك منهم. قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١].

وقد يكون التغيير التحول من معنى إلى معنى بواسطة التنوين، ألا ترى انهم يفرقون بين قولهم: هذا مكرمٌ أخاك ومكرمُ أخيك، فيجعلون الأول لمن وقع منه الإكرام فعلا، وليس كذلك الثاني، إلى غير ما هنالك من الأمور الدقيقة الكثيرة العجيبة الشأن في هذه اللغة الشريفة لغة القرآن الكريم.

والذي يعنينا الآن الحديث عن حروف المعاني، ونعني بها الحروف التي وضعها العرب ليؤدى كل منها معنى في الجملة التي وضع فيها، كحروف العطف والجر، ذلك لأن هذه الحروف هي التي ادُّعِيَ حذفها تارة وزيادتها أخرى.

وسندرك آن دراسة هذه الحروف دراسة موضوعية ستقفنا على جانب فذ من جوانب إعجاز القرآن الكريم من جهة، ودقة هذه اللغة وإحكامها من جهة أخرى.

ونرى من الفائدة أن نخصص هذه الصفحات لشرح بعض المصطلحات التي ستمر بنا في هذا البحث، ذلك لأن للحرف أثرا كبيرا في باب المعاني، فكم من جملة تغير معناها تغيرا كليا من جراء حركة أو حرف. ومن طريف ما قيل أنه قيل لأحدهم: ما حاجتك؟ قال: كتاب أنظر فيه، ومحتاج أنظر له، ووجه حسن أنظر إليه«. فهذه كلمة واحدة رأينا أن معناها يختلف اختلافا كليا باختلاف الحرف الداخل عليها، ومثل هذا الاختلاف في الجملة التي تكون فيها (إلى) أو (حتى) وكلاهما للغاية، فنقول مثلا: سرت إلى آخر الطريق أو إلى نصفه، ونقول: سرت حتى آخر الطريق، ولانقول حتى نصفه. ونقول: أكلت السمكة إلى نصفها أو إلى رأسها، ونقول: أكلت السمكة حتى رأسها، ولانقول حتى نصفها، لأن حتى إنما تكون لآخر الغاية، وليس كذلك (إلى)، قال تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ﴾ [القدر: ٥].

ومثل هذا مانجده بين حرفين لا يفرق بينهما كثير من الناس وهما: (أو)، و (أم)، فكثير ما يستعمل كل منهما مكان الآخر مع أن لكل منهما مكانه الذي لاينبغي أن يعدوه ولا يستعمل فيه غيره(١)، فبعد كلمة (سواء) و (الهمزة) لاتستعمل إلا (أم)، قال تعالى ﴿ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [البقرة: ٦] كذلك إذا كان السؤال عن معين، كأن تقول: «أجاء خالد أم أحمد؟ وأنت تعرف أن أحدهما قد جاء، لكن لا تدري من هو. «أدخل ولدك كلية الشريعة أم كلية الهندسة؟ وأنت تعرف أنه دخل إحداهما، لكن لاتدري ماهي؟، أقرأت كتاب دلائل الإعجاز أم كتاب سيبويه؟ وأنت تعرف أنه قرأ أحدهما. لكن لا تدري ماهي؟، أقرأت كتاب دلائل الإعجاز أم كتاب سيبويه؟ وأنت تعرف أنه قرأ أحدهما.

---

(١) على بن محمد الهروي (أبو الحسن) ت ٤١٥هـ/١٠٢٤م، أديب نحوي، قدم مصر واستوطنها، وروى عن الأزهري، ومات في مصر، من تصانيفه: الذخائر في النحو في أربع مجلدات، كتاب الأزهية شرح فيه العوامل، ومختصر في النحو سماه «المرشد». الأزهية في علم الحروف، تحقيق عبدالمعين الملوحي ـ مطبوعات مجمع اللغةالعربية بدمشق سنة ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢ـ ص ١٣٤.

والجواب عن السؤال الأول أن يقال: خالد مثلا، والثاني: كلية الشريعة، والثالث: كتاب دلائل الإعجاز.

أما (أو) فان السؤال بها يكون عن غير المعين، فاذا قلت: «أجاء خالد أو أحمد»؟، «أدخل ولدك كلية الشريعة أو كلية الهندسة»، أقرأت كتاب دلائل الإعجاز أو كتاب سيبويه؟، فأنت هنا لاتسأل عن أيهما جاء، ولا عن أي الكليتين دخل، ولا أي الكتابين قرأ، لأنك لا تعلم شيئا، إنما سؤالك: هل جاء أحدهما، هل دخل واحدة من الكليتين؟ هل قرأ واحدا من الكتابين؟ والجواب هنا يكون: بـ (نعم) أو (لا) ولا يجوز أن يكون كالجواب الأول، لأن السؤال الأول كان عن أي الأمرين فتقول كذا أو كذا.

أما السؤال بـ (أو) فلم يكن عن أي الأمرين حصل، وإنما أحصل أحدهما؟ وتأتي (أو) إذا لم يكن السؤال عن متعادلين، إذا لم يقصد تفضيل أحدهما على الآخر أو تمييز أحدهما عن الآخر، كأن يسأل سائل «أيهما أعظم أثرا في التاريخ صلاح الدين أو نور الدين أم قطز؟ و «أيها أكثر عداء للاسلام أمريكا أو بريطانيا أم الاتحاد السوفيتي؟ و «أي المستشرقين أكثر مكرا مرجليوث أو نود لكة أم جولد تسيهر؟ فإننا في الإجابة نقول عن السؤال الأول: أحدهما، إذا كنا نرىٰ صلاح الدين أو نور الدين أكثر أثرا، أو يقال: قطز عند من يرى ذلك.

ونقول في الإجابة عن السؤال الثاني: أحدهما، أي أمريكا أو بريطانيا أو الاتحاد السوفيتي عند من يرى ذلك. ونقول في الإجابة عن السؤال الثالث: أحدهما، أو نقول: جولدتسيهر عند من يرى أنه أكثر مكرا. فلا يجوز أن يقال في الجواب: صلاح الدين أو نور الدين مثلا، لأن السؤال ليس عن المفاضلة بينهما، وإنما بينهما وبين قطز. ومن هنا قلنا في الجواب: أحدهما، وربما يقال: قطز، وهكذا. كما نلحظ أن (أو) استعملت أولا، ثم إن (أم) استعملت ثانيا.

ثم (أم) هذه قد تكون حرف عطف، فتسمى متصلة، سواء كان ذلك بين مفردين مثل: «أجاء زيد أم عمرو»، (أم) بين جملتين هما في حكم المفرد كالآية

الكريمة « ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ » [البقرة: ٦]، أي: إنذارك وعدمه سواء. وقد لاتكون كذلك، فتسمى المنقطعة، ولا تكون إلا بين جملتين ليستا في حكم المفرد، قال تعالى ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٌ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [فاطر: ٤٠] فـ (أم) هذه ليست حرف عطف يراد منها التسوية، وإنما هي بمعنى: (بل) و (الهمزة)، كأنه انتقل عن قوله تعالى ﴿ماذا خلقوا من الأرض﴾ إلى شيء أكثر منه استحالة فقال: بل ألهم شرك في السموات.

ومن الدقة اللغوية كذلك في استعمال الحروف التفرقة بين (إلى) و (اللام) في قولنا: «ماأحب عمر إلى المسلمين» و «ماأحب عمر للمسلمين».

ففي المثال الأول: (المسلمون) هم الذين يحبون عمر، وفي المثال الثاني: (عمر) هو الذي يحب المسلمين، ذلك لأن ما بعد (إلى) يكون (فاعلا)، وما قبلها (مفعولا)، و (اللام) على العكس من ذلك، ماقبلها يكون (فاعلا)، وما بعدها (مفعولا)، فإذا قلنا: «خالد أحب الى أبيه» كان الأب هو المحب، وإذا قلنا «خالد أحب لأبيه» كان خالد هو الذي يحب أباه، قال تعالى: ﴿ إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا﴾ [يوسف: ٨]، هم لايقصدون ـ بالطبع ـ أن يوسف كان يحب أباهم أكثر من حبهم لأبيهم، وإنما يتحدثون عن حب أبيهم ليوسف.(١)

وقد يكون للحرف أكثر من معنى واحد، كما بينه اللغويون، ونحن نذكر هنا ما تدعو الحاجة إليه.

---

(١) محمد بن علي الصبان، أبو العرفان، (ت ١٢٠٦هـ/ ١٧٩٢م) عالم بالعربية والأدب، مصري مولده ووفاته بالقاهرة. له الكافية الشافية في علمي العروض والقافية، واتحاف أهل الاسلام فيما يتعلق بالمصطفى وأهل بيته الكرام. «الأعلام ٢٩٧/٦».
حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ومعه شرح الشواهد للعيني، ملتزم الطبع والنشر: دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر ـ ٢١٧/٢.

أولا: البـــاء

١ . الإلصاق: كأن تقول: «مررت بالحائط»، قال تعالى: ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ [يوسف: ١٨]، ولايكاد هذا المعنى يفارق هذا الحرف.

٢ . التعدية: وتسمى: باء النقل، وهي: المعاقبة للهمزة، ومعناها أن مابعد الباء كان فاعلا، لكن بدخول الباء صار مفعولا، فهي تشبه الهمزة من هذه الناحية، قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ [البقرة - ١٧]، فالأصل أن يقال: ذهب نورهم، لكن بدخول الباء صار المعنى: أذهب الله نورهم.

٣ . الاستعانة: وهي أن تدخل الباء على آلة الشيء، مثل: كتبت بالقلم، وقطعت بالسكين، ويمكن أن يكون منه قوله سبحانه ﴿**بسم الله**﴾ كما سيأتي معنا ﴿**بسم الله الرحمن الرحيم**﴾، ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ (العلق: ١).

٤ . السببية: وهي أن يكون ما بعد الباء سببا لما قبلها، قال تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ﴾ [العنكبوت ٤٠]، ﴿إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ [البقرة: ٥٤]، ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٦٠]

٥ . المصاحبة: ومنه قوله تعالى: ﴿ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا﴾ [هود ٤٨]، ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴾ [الحجر: ٤٦] ويمكن أن يكون من هذا القبيل قوله تعالى: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾ [المؤمنون: ٢٠] كما سنعرفه فيما بعد إن شاء الله تعالى.

٦ . البـــدل: كقوله تعالى: ﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [التوبة ٣٨] أي أرضيتم بهذه بدل هذه. ومنه: «مايسرني أن لي بها حمر النعم» ومنه بيت الحماسة:

فليت لي بهم قوما إذا ركبوا
شنّوا الإغارة فرسانا وركبانا

٧ . التعويض: كما نقول: «اشتريته بمائة»، كافأت المتفوقين بجوائز ثمينة». والفرق بين هذا وبين الذي قبله، أي: بين (باء) التعويض و (باء) البدل، أن في باء التعويض مقابلة شيء بشيء، بأن يدفع شيء من أحد الجانبين، ويدفع من الجانب الآخر شيء في مقابلته. وفي باء البدل اختيار أحد الشيئين على الآخر فقط من غير مقابلة من الجانبين.(١)

ونكتفي بما ذكرناه لأننا نذكر ما تدعو اليه حاجتنا من جهة، ولا نوافق على كثير من المعاني التي ذكروها لهذا الحرف من جهة أخرى.

ثانيا: مـــن

١ . من أول معانيها الابتداء، قال تعالى ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ﴾ [الإسراء: ١]، ﴿ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ .. [آل عمران ١٩٥]، وكما يكون الابتداء في المكان، يمكن أن يكون في الزمان، ومنه قوله تعالى: ﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ [التوبة ١٠٨]، وفي الحديث (مطرنا من الجمعة إلى الجمعة)(٢)

٢ . التبعيض: وهي أن تصلح مكانها «بعض» قال تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [البقرة ٣]، ﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ [آل عمران ٩٢]، ﴿ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ ﴾ [غافر ٧٨]، ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة ٢٥٣].

فليس المراد أن ينفق الإنسان كل ما رزقه الله، وكل ما يحب، وإنما بعضه.

---

(١) حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ومعه شرح الشواهد للعيني ٢/٢٢٠.

(٢) رواه البخاري ـ كتاب الاستسقاء ـ باب اذا استشفعوا الى الامام ليستسقي لهم لم يردّهم ـ رقم الباب (١١) رقم الحديث ٩٧٣.

٣. بيان الجنس: ومنه قوله سبحانه: ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾ [البقرة: ١٠٦]، ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾ [فاطر: ٢]، ﴿ وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف: ١٣٢]، ﴿ فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ ﴾ [الحج ٣٠]، ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ﴾ [الكهف: ٣١]، فـ (من) في هذه الآيات الكريمة «بيانية»، **وعلامتها:**

أ ـ أن يكون ما بعدها خبرا لما قبلها.

ب ـ أن يحل محلها اسم موصول إذا كان قبلها معرفة، أو الضمير إذا كان نكرة، ففي الآيات السابقة ﴿ما ننسخ من آية﴾ يجوز أن نخبر بما بعدها عما قبلها، فما قبلها النسخ وما بعدها آية، فيقال: المنسوخ آية، المفتوح من الله: الرحمة، المتأتي آية، الرجس هو الأوثان، والأساور الذهب، كما يمكن أن يقال: اجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان، لأن الرجس معرفة، يحلون فيها من أساور هي ذهب، لأن أساور نكرة.

وستعرف أن كثيرا مما سموه زائدا يرجع إلى هذا المعنى، وستدرك أن ما طعن به بعض الملاحدة على كتاب الله مردود، وذلك كقوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح: ٢٩] وهذه في حق الصحابة.

قالوا: الصحابة اذن قسمان.

والحق أن (من) هنا ليست للتبعيض، فالصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ كلهم عدول، وكلهم مغفور لهم ـ إن شاء الله تعالى ـ وإنما (من) بيانية، أي: وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات الذين هم هؤلاء كذا وكذا.

٤. البدل: ﴿ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْآخِرَةِ ﴾ [التوبة: ٣٨]

٥. الفصل: ﴿وهي الداخلة على المتضادين مثل﴾ ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِ ﴾ [البقرة: ٢٢٠].

٦. التنصيص على العموم: « مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖ » [المائدة: ١٩].

٧. توكيد العموم: مثل ﴿ما جاءني من أحد﴾، وكقوله تعالى: ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡ ﴾ [البقرة: ١٠٢].

ثالثا: الـــلام، وتأتي:

١. للملك، كما نقول: «أن الأرض لله».

٢. التعليل: « إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا » [النساء ١٠٥].

٣. الاختصاص: « فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ » [الجاثية ٣٦].

٤. لام العاقبة، وتسمى: لام الصيرورة أيضا. « فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًاۗ » [القصص ٨]، فهم إنما التقطوه لغير ذلك.

٥. التبليغ: ، وهي الجارة لاسم السامع، مثل: «قلت لك».

وهناك معان كثيرة ذكرها النحاة لهذه (اللام) فأوصلوها إلى نيف وعشرين، وكذلك أكثر حروف الجر.

ونحن لسنا معهم في كثير مما ذكروه، لأنه ليس من رأينا أن حروف الجر ينوب بعضها عن بعض، ونمثل لذلك بأنهم ذكروا أن (اللام) تأتي بمعنى (إلى) وجعلوا منه قوله سبحانه ﴿ يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا ﴾ [الزلزلة ٤ ـ ٥]، قالوا: فـ (اللام) بمعنى (إلى) أي: أوحى إليها. وربما عللوا ذلك بسبب الفواصل، ورؤوس الآي، مع أن الناظر في الآيات الكريمة، آيات الوحي، يجد غير هذا، ففعل الوحي الذي يتعدى بـ (إلى) دائما لم نجده تعدى بـ (اللام) إلا في هذه الآية، وإذا نظرنا في الآيات الكريمة، وجدنا أن هذه الآية الكريمة هي التي

كان الوحي فيها للجماد، أما الآيات الأخر، فقد كان فيها للانبياء تارة، ولغيرهم من البشر تارة، ولما فيه حياة من غير البشر تارة.

١. قال تعالى ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ﴾ الآية [يونس ٨٧]، وقال تعالى ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ [النساء ١٦٣].

٢. قال تعالى ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ ﴾ [القصص ٧]

٣. قال تعالى ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ [النحل ٦٨].

تعدى الوحي بـ (اللام) إذن لم يكن لرؤوس الآي، وإنما كان لغاية بيانية قصد إليها القرآن الكريم.

وأكتفي بما ذكرت لأننا لانقصد بأن نبين معاني حروف الجر وغيرها، إنما كان الهدف مما ذكر بيان بعض المصطلحات التي تمر معنا في هذا البحث.

الفصل الأول

الزيادة

يختلف مصطلح الزيادة عند العلماء، فهناك الزيادة التي يتحدث عنها علماء الصرف، ويعنون بها الزيادات التي تكون في بنية الكلمة، وهي تجمع حروفها في «سألتمونيها»، كزيادة السين والتاء في الأفعال، مثل «استنصر»، أو في الأسماء مثل «مستنصر»، وهذه لايعنينا بحثها - بالطبع - وإنما الذي يعنينا الزيادة عند النحويين، وهي زيادة حروف المعاني، وهي بهذا الاسم عند البصريين، أما الكوفيون فيسمونها حروف الصلة.

ولابد لمن يتحدث عن إعجاز القرآن بعامة، والبياني بخاصة، أن يعرض لهذه القضية التي عالجتها أفكار العلماء قديما وحديثا، بل شغلت حيزا لابأس به من مقولاتهم ومدوناتهم، الزوائد كلمات - وأكثرها حروف - رأى بعضهم أنها لاحاجة لها من حيث الإعراب، فإذا أسقطت بقي الكلام تاما، كالباء في خبر ليس، حذفها ووجودها سواء تقول: «أليس الله بقادر»، وتسقط الباء فتقول: «أليس الله قادراً»، فهي إنما يؤتى بها لتأكيد الكلام وتقويته.

وذهب آخرون إلى أنها لاتزيد المعنى شيئا، فالمعنى سواء إن وجدت أم حذفت، وإنما جيء بها لغرض لفظي يتعلق بجرس الكلام، وجمال إيقاعه، وحلاوة نغمه.

ويرى ابن السراج[1]، ومن نقل عنه[2]، أن هذه الزيادة لايجوز أن تكون في

---

(١) هو محمد بن سري السراج، أبو بكر، والسراج: بفتح السين وتشديد الراء وبعد الألف جيم، هذه بالنسبة الى عمل السروج، له كتاب «الأصول» وله: «شرح كتاب سيبويه» توفي سنة ٣٢٢ هـ، (انظر: تاريخ العلماء النحويين ٤٠ - ٤٤).

(٢) الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي، ولد ليلة الأحد في مستهل رجب ٨٤٩هـ وكانت متبحرا في =

الكلام، إلا إذا ألغي عملها، فهم ينكرون زيادة حروف الجر مثلا، لأنها لا يمكن أن تكون زائدة وعاملة معا.

ويرى عبد العال سالم مكرم: أن هذه الزوائد ظاهرة أسلوبية، فهي وإن كان زيادة من حيث المعنى، أي يتم المعنى بدونها إلا أنها يستملح بها الأسلوب، وذلك مااستقر عند العرب، والقرآن إنما جاء على أسلوب العرب ونهجهم.

وهذه الزوائد يتحاشى بعض الأئمة تسميتها بهذا الاسم ـ كما قلت ـ إجلالا لكتاب الله تعالى، فيطلقون عليها الصلة، فالباء في خبر ليس مثلا، لا يقولون عنها زائدة، وإنما يقولون الباء صلة، ونحن لا تعنينا التسمية بقدر ما يعنينا جوهر الموضوع وأساسه، والحقيقة أن هذه الزيادة نمت في بيئة النحاة، وترعرعت في حجورهم، وكان ذلك نتيجة للقواعد التي قعّدوها، وألزموا أنفسهم بها، وحينما ندرس هذه الزيادة ـ التي سموها كذلك ـ دراسة موضوعية، فإننا نخرج بنتيجتين اثنتين:

الأولى:

إن أكثر النحاة قال بوجود زوائد في كتاب الله تعالى، على الرغم من أن كثيرا من المفسرين والعلماء نفى القول بالزيادة.

فمن النحويين مثلا: الفراء[١] والأخفش[٢]، وأبو حيان[٣]، ويمكنك أن تأخذ أي كتاب من كتب النحو، كشرح الكافية للرضي[٤]، وشرح المفصل لابن يعيش[٥]، ومعاني القرآن للفراء[٦]، وإعراب القرآن لأبي البقاء[٧]، أو المنسوب للزجاج[٨] وستجد القول بزيادة كثير من الحروف والكلمات مبثوثا في صفحات هذه الكتب.

= سبعة علوم: التفسير والحديث والفقه والنحو والمعاني والبديع والبيان، وكان الى جانب علمه عفيفا كريما صالحا تقيا رشيدا لا يمد يده الى سلطان، توفي يوم الجمعة ١٩ من جمادي الأولى سنة ٩١١هـ.
كتاب الاشباه والنظائر في النحو ـ تحقيق طه عبدالرؤوف سعد، نشر: الكليات الأزهرية ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م ١٠٣/٢ ـ ١٠٧.

(١) **الفراء**: هو يحيى بن زياد بن عبدالله بن منظور الديلمي، مولى بني أسد، أو بني منقر، أبو زكرياء المعروف بالفراء (١٤٤ ـ ٢٠٧هـ، ٧٦١ ـ ٨٢٢م) إمام الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة والأدب، كان يقال: الفراء أمير المؤمنين في النحو، ولد بالكوفة وانتقل الى بغداد. توفي في طريق مكة، وكان فقيها متكلما عالما بأيام العرب وأخبارها. (الأعلام ٨/١٤٥)

(٢) **الأخفش**: هو سعيد بن مسعدة المجاشعي بالولاء، البلخي، ثم البصري، أبو الحسن، المعروف بالأخفش الأوسط (٢١٥هـ/ ٨٣٠م) نحوي، عالم باللغة والأدب، من أهل بلخ، سكن البصرة، وأخذ العربية عن سيبويه، وصنف كتبا كثيرة. (الأعلام ٣/١٠٢).

(٣) **أبو حيان**: هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حيان الجياني، أثير الدين أبو حيان، من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات (٦٥٤ ـ ٧٤٥هـ، ١٢٥٦ ـ ١٣٤٤م) ولد في إحدى جهات غرناطة ثم أقام بالقاهرة وتوفي فيها بعد أن كف بصره. له مصنفات كثيرة منها «البحر المحيط، والنهر، ومجاني العصر، وطبقات نحاة الأندلس...». (الأعلام ٧ /١٥٢).

(٤) **رضي الدين**: محمد بن الحسن الاستراباذي النحوي (ت٦٨٦هـ ـ ١٢٨٧م) نجم الدين، عالم بالعربية، من أهل استراباذ (من أعمال طبرستان)، اشتهر بكتابيه الوافية في شرح الكافية، وشرح مقدمة ابن الحاجب المسماه «بالشافية». (الأعلام ٦/٨٦).

انظر: مثلا ٢/٣٨٤، كتاب الكافية في النحو/ شرح رضي الدين الاستراباذي، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(٥) **ابن يعيش**: هو موفق الدين يعيش ابن علي النحوي (٥٥٣ ـ ٦٤٣هـ، ١١٦١ ـ ١٢٤٥م) المعروف بابن يعيش، وبابن الصانع، من كبار العلماء بالعربية، موصلي الأصلي، مولده ووفاته في حلب، رحل إلى بغداد ودمشق، وتصدر للإقراء بحلب إلى أن توفي، كان ظريفا محاضرا، كثير المجون مع سكينة ووقار. (الأعلام ٨/٢٠٦).

شرح المفصل/ عالم الكتب/ بيروت ومكتبة المتنبي/ القاهرة ـ ٨/١٣٣.

(٦) معاني القرآن للفراء ـ عالم الكتب ببيروت ـ الطبعة الثانية سنة ١٩٨٠، ١/٢٣٨.

(٧) **أبو البقاء**: هو الإمام محب الدين، أبو البقاء عبدالله بن الحسين بن عبدالله العكبري. عالم بالأدب واللغة والفرائض والحساب، أصله من عكبرا (بليدة على دجلة)، ومولده ووفاته ببغداد. أصيب في صباه بالجدري فعمى. من كتبه: «التبيان في اعراب القرآن» ويسمى: «إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن». واعراب الحديث وغيرها من الكتب النافعة، (ت ٦١٦هـ، ١٢١٩م) (الأعلام ٤/٢٠٨).

إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن ـ دار العلم للجميع انظر: ١/١٤٦، سورة الأنعام.

(٨) **الزجاج**: إبراهيم بن السري بن سهل أبو اسحاق الزجاج (٢٤١ ـ ٣١٨هـ، ٨٥٥ ـ ٩٢٣م) عالم بالنحو واللغة، ولد ومات في بغداد. كان في فتوته يخرط الزجاج، ومال الى النحو فعلمه المبرد، أدب ابن وزير المعتضد العباسي، وكانت للزجاج مناقشات مع ثعلب، وله تصانيف كثيرة. (الإعلام ١/٤٠).

إعراب القرآن المنسوب للزجاج ـ تحقيق ودراسة ابراهيم الابياري ـ وزارة الثقافة والارشاد القومي ـ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة ـ القاهرة سنة ١٩٦٣م ١/١٣١.

وعلى العكس من ذلك تجد الأمر عند كثير من المفسرين والعلماء، ونمثل لك بتفسير[1] الطبري (ت ٣١٠هـ)، والرازي[2] (ت ٦٠٦هـ)، وأبي مسلم ابن بحر[3] (ت ٣٢٢هـ) من الأقدمين، والشيخ محمد عبده[4]، والدكتور محمد عبدالله دراز[5] والشيخ عبدالرحمن تاج[6] من المحدثين، وستجد أنهم يردون القول بالزيادة.

---

(١) الطبري: هو محمد بن جوير بن يزيد، ابو جعفر (٢٢٤ - ٣١٠هـ، ٨٣٩ - ٩٢٣م) المؤرخ، المفسر، الإمام ولد في آمل/ طبرستان، واستوطن بغداد، وتوفي بها، وعرض عليه القضاء فامتنع، والمظالم فأبى، له أخبار الرسل والملوك، وفي تفسيره ما يدل على علم غزير وتحقيق، وكان مجتهدا في أحكام الدين، لا يقلد أحدا، بل قلده بعض الناس وعملوا بأقواله وآرائه. (الأعلام ٥/ ٦٩).
انظر مثلا: عند تفسر قوله تعالى: ﴿أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها﴾ [البقرة: ٢٥٩] حيث يرد على القائلين بزيادة الكاف.
كتاب (جامع البيان في تفسير القرآن) - الطبعة الأولى - المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق - مصر المحمية ١٣٢٣هـ - ١/ ٣٥.

(٢) الرازي: هو فخر الدين الرازي، إمام المتكلمين وقامع المبتدعين، وحجة الله على العالمين، المتبحر، تاج المحققين، أبو الفضل، محمد فخر الدين بن ضياء الدين بن الحسن بن الحسين التيميي البكري الرازي الشافعي، ولد سنة (٥٤٣هـ) وقد كان مولعا إلى حد الغرام بالفلسفة، والكلام، والجدل، وأصول الفقه، والتصوف. وتوفي سنة (٦٠٦هـ).
انظر مثلا: عند تفسير قوله تعالى (فبما رحمة من الله لنت لهم) [آل عمران: ١٥٩] حيث يقرر أن (ما) استفهامية فرارا من القول بالزيادة.
التفسير الكبير - الطبعة الأولى، ملتزم الطبع عبدالرحمن محمد بميدان الأزهر بمصر، ٩/ ٦٢.

(٣) ابن بحر: هو محمد بن بحر الأصفهاني، الكاتب، أبو مسلم، مولده سنة (٢٥٤هـ) كان نحويا كاتبا بليغا، مترسلا جدلا، متكلما معتزليا، عالما بالتفسير وغيره من صنوف العلم، صار عالم اصبهان وفارس، له «جامع التأويل لمحكم التنزيل» والناسخ والمنسوخ، وكتاب في النحو. (ت٣٢٢هـ).
انظر مثلا: عند قوله تعالى ﴿وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون﴾ [الأنبياء: ٥٩] حيث يرد القول بزيادة (لا)/ تفسير الرازي ٢٢/ ٢٢١.

(٤) انظر عند تفسير قوله تعالى ﴿فقليلا ما يؤمنون﴾ [البقرة: ٨٨] حيث يرد القول بزيادة (ما) - محمد رشيد رضا - تفسير المنار - الناشر: دار المعرفة/ بيروت ط٢ ١/ ٣٧٩.

(٥) حيث نفى زيادة الكاف في قوله تعالى ﴿ليس كمثله شيء﴾ محمد عبدالله دراز - النبأ العظيم - دار القلم - الطبعة ٢ سنة ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م ص١٢٧.

(٦)

الثانية :

إن ماسموه زائداً أو صلة، عندما نمعن النظر فيه، فإننا لا نتردد أي تردد، ولا نرتاب أدنى ريب، بأن هذا الذي سموه زائدا، لم يكن للتأكيد فحسب، ولم يكن ليجمل به الإيقاع فقط، وليس ظاهرة أسلوبية ـ كما قيل ـ إنما هو بعد ذلك كله أمر اقتضاه المعنى، وحتمته الحكمة البيانية، والحكمة العقلية كذلك، فلو ذهب من الكلام لذهب جزء جوهري من المعنى.

والزوائد التي ذكروها خمس عشرة، ولكننا بعد استقصاء وجدناها أكثر من ذلك بكثير، فجمعنا منها ستا وعشرين أداة، وهي إما حروف أو أسماء أو أفعال، والذي يعنينا منها الحروف فقط وهي:

(إلى، والباء، واللام، ومن، وعن، وفي، والكاف).

والذي يستعرض كتب التفسير والنحو وإعراب القرآن، يجد أن كل حرف من هذه الحروف قيل بزيادته في آيات كثيرة من آي القرآن الحكيم. ونحن في هذا الفصل لانستطيع أن نلم بها، فتلك قضية وحدها بحاجة إلى كتاب ذي فصول متعددة، ولكن يكفينا أن نأتي بما يسمح به المقام، فيكون شاهد صدق على مظهر من مظاهر الإعجاز من جهة، ويكون برهانا على غيره مما لم يذكر من جهة ثانية.

أولا: البـــاء.

والآيات التي قيل فيها بزيادة الباء تنيف على العشرين آية، وهذا بالطبع غير الآيات التي جاءت فيها الباء في خبر ليس أو ما. مثل قوله سبحانه ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ [الزمر: ٣٦]، وقوله ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦] فهذا القسم كثير في كتاب الله تعالى. والذي يعنينا القسم الأول، وهو مالا يندرج تحت قاعدة معينة، وسنمثل له ببعض الآيات:

١. ﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الحج: ١٥].

٢. ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ ﴾ [الحج: ٢٥].

٣. ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْـَٔاكِلِينَ ﴾ [المؤمنون: ٢٠].

٤. ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ ﴾ [الحديد: ١٣].

٥. ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴾ [العلق: ١٤].

الآية الأولى:

قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾. [الحج: ١٥].

قالوا[1]: إن الباء زائدة، والتقدير: (فليمدد سببا)، أي: فليمدد حبلا، والغواصون من أجل التقاط المعاني لايرضون هذا القول، لأنه ليس المقصود المد وحده، فقد يمد الشخص حبالا كثيرة من غير أن تكون له بها صلة مباشرة، ولكن المقصود أن يصل هو نفسه بهذا الحبل، لذا عدّى الفعل بالباء، أي: يوصل نفسه بهذا الحبل الممدود إلى أعلى.

تلك هي بلاغة القرآن في استعمال الحرف حينا، وتركه حينا آخر.

الآية الثانية:

قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾ [الحج: ٢٥].

---

(١) ابن هشام: هو أبو محمد عبدالله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن هشام الانصاري المصري، ولد في القاهرة سنة ٧٨٠هـ/ ١٣٠٩م، قيل عنه أنه على علم جم يشهد بعلو قدره في صناعة النحو. وقال ابن خلدون: 'ما زلنا بالمغرب نسمع انه ظهر بمصر عالم بالعربية يقال له ابن هشام انحىٰ من سيبويه.
مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب ـ تحقيق محيي الدين عبدالحميد ١٠٨/١.

قالوا:[1] إن الباء هنا زائدة، لأن فعل (أراد) يتعدى بنفسه، وكثير من المفسرين ذهب إلى أن الباء تتعلق بمفعول محذوف، أي: «ومن يرد فيه مرادا بإلحاد» فرارا من القول بالزيادة.

ولكن ما أرجحه أن الفعل هنا ضمن معنى الهمّ، والهم يتعدى بالباء، ذلك أن مكة ـ شرفها الله تعالى ـ يضاعف فيها العمل، فإذا كانت الحسنات تضاعف لأصحابها أضعافا كثيرة، فينبغي أن تكون السيئات كذلك، والغنم بالغرم[2]، وكأن الذي يهم في هذا البلد بشيء فإنه يجازي عليه.

قال في الكشاف:[3]

«ومفعول» يرد «متروك ليناول كل متناول، كأنه قال: ومن يرد فيه مرادا ما، عادلا عن القصد، ظالما (نذقه من عذاب أليم) يعني أن الواجب على من كان فيه أن يضبط نفسه، ويسلك طريق السداد والعدل في جميع ما يهم به ويقصده».

---

(١) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١٤١/١ ـ شركة ومطبعة البابي الحلبي ـ القاهرة ـ الطبعة الثالثة ـ ١٣٧٠هـ/١٩٥١م.

والبرهان في علوم القرآن للزركشي ١٠٨/١ ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ ط١ ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٧م ـ دار إحياء الكتب العربية ـ عيسى البابي الحلبي وشركاه.

بدر الدين الزركشي، هو محمد بن عبدالله بن بهادر الزركشي، ولد بالقاهرة سنة ٧٤٥هـ حينما كانت معمورة بالمدارس، تفقه بمذهب الشافعي، وهو جهبذ من جهابذة أهل النظر والاجتهاد وعلم من أعلام الفقه والحديث والتفسير وأصول الدين، كان منقطعا الى الاشتغال بالعلم لا يشتغل عنه بشيء، وله أقارب يكفلونه أمر دنياه، . توفي بمصر في رجب سنة ٧٩٤هـ.

(٢) عن ابن مسعود (الهمة في الحرم تكتب ذنبا) ـ وهذا ما رجحه ابن القيم في زاد المعاد، وابن القيم هو أبو عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي (ابن قيم الجوزية) ـ حققه شعيب الأرناؤوط ـ الطبعة ١ سنة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م مكتبة المنار الإسلامية ٥٤/١.

(٣) الزمخشري: هو محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، جار الله، أبو القاسم (٤٦٧ ـ ٥٣٨هـ، ١٠٧٥ ـ ١١٤٤م) من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب، ولد في زمخشر (من خوارزم) وسافر إلى مكة فجاوز بها زمنا فسمى جار الله، وتنقل في البلاد ثم عاد الى الجرجانية، وتوفي فيها، من كتبه: الكشاف، أساس البلاغة والمفصل. (الاعلام ١٨٧/٧)

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ـ الطبعة الأولى ـ مطبعة الاستقامة ـ القاهرة ـ ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م.

الآية الثالثة:

قوله تعالى: ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ ﴾ [المؤمنون: ٢٠]

في قوله سبحانه: ﴿تنبت بالدهن﴾ قراءتان:

القراءة الأولى: «تنبت» (بفتح التاء وضم الباء)، وفعله الماضي: نبت الثلاثي، وهذه قراءة أكثر القراء.

والقراءة الثانية: «تنبت» (بضم التاء وكسر الباء)، وماضيه: أنبت الرباعي، وهي قراءة ابن كثير.

وقال بعضهم ان الباء زائدة، كما نقل عنهم أبو حيان[1] الى ان الباء زائدة على هذه القراءة، والمعنى تنبت الدهن.

وذهب غيرهم إلى أنها غير زائدة، والمعنى تنبت ثمرها مصاحبا أو ملتبسا بالدهن. والحق أن زيادة الباء غير متصورة ولا ممكنة، لأن المعنى غير مستقيم على هذه الزيادة، لأن الشجرة في الحقيقة لا تنبت الدهن، وإنما تنبت المشتمل على هذا الدهن، ونحن نعرف اليوم ان من الزيتون ما لا يؤخذ منه زيت، وإنما هو زيتون من أجل أن يؤكل ثمره بعد أن يخلل.

إن القول بزيادة (الباء) على قراءة ابن كثير يخرج الآية الكريمة عن المعنى المراد، والحق أن مؤدي القراءتين واحد، وأن كان من فرق بينهما، فإنما هو فرق بين الفعلين الثلاثي والرباعي، وليس من غرضنا أن نعرض له هنا، لأن بحثنا في قضية الزوائد.

---

(١) البحر المحيط ٦/٤٠١.

الآية الرابعة:

قوله تعالى: ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابُۢ ﴾ [الحديد: ١٣].

قالوا[1]: إن الباء زائدة، والمعنى: «فضرب بينهم سور»، ولكن الذي نعتقده، غير هذا، وهنا لابد من شرح وتفصيل.

المعن في آيات الكتاب العزيز يجد ما يأخذ بالألباب، وتنشرح له الصدور، روعة بيان، ودقة معنى، قد يحدثنا القرآن الكريم عن السموات والأرض، أو عن الدنيا والآخرة، فيلحظ من له شفافية ودراية بأن الحديث يختلف ما بين جهة وجهة، وأن هناك كلمة جاءت لتدل على دقة التعبير القرآني، فمثلا تحدث القرآن الكريم عن الأرض وما يتخذه الناس فيها من بيوت وقلاع وأسوار، فعبر عن هذا كله بكلمة (بنيان)، قال الله تعالى: ﴿ قَالُواْ ٱبْنُواْ لَهُۥ بُنْيَـٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴾ [الصافات: ٩٧]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ [الصف: ٤].

ذلك كله حديث عن الأرض ـ كما رأينا في سورتي الصافات والصف ـ وما أجمل كلمة (بنيان)، وما أجمل البنيان وحجارته، تصف صفا وصفا فوق صف.

ولكن نجد القرآن الكريم حينما كان الحديث عن السماء يعبر فيه بكلمة غير هذه الكلمة قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً ﴾ [البقرة: ٢٢]، أليس التعبير بكلمة (بناء) مغايرا لكلمة (بنيان)، وذلك إنما جاء لغرض بديع، وهدف رفيع، وهو أن طبيعة تماسك السموات يختلف كلية عما عهده الناس في هذه الأرض من وضع الحجارة بعضها على بعض، واختلاط المواد بعضها ببعض، هذا عن السماء والأرض.

---

(١) املاء ما من الرحمن ـ العكبري ٢/١٣٥.

وانظر: سليمان بن عمر العجيلي الشافعي الشهير بالجمل (ت ١٢٠٤هـ) ـ الفتوحات الالهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية ـ مطبعة البابي الحلبي ـ ٤/٢٨٣.

وقد حدثنا القرآن الكريم كذلك عن الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾ [الاحزاب: ٣٧]، وقال سبحانه ﴿وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الطور: ٢٠]. فنحن نرى أنه غير بين الفعلين لا لاختلاف لفظيهما، ولكن إشارة إلى أن طبيعة ما في الدنيا من زواج وغيره تختلف عما سيكون في الآخرة.

وعلى هذا يمكننا أن نفهم الآية الكريمة التي معنا (فضرب بينهم بسور له باب)، ذلك لأن الآية ـ والله تعالى أعلم بأسرار كتابه ـ تبين لنا أن ما يتخذه الناس من أسوار في الدنيا، وما يقومون به من وسائل لهذه الأسوار يختلف تماما عمّا يكون في الآخرة، وأن ما في الآخرة يختلف كلية عما عهده الناس في هذه الدنيا.

هذا الذي هداني الله إليه بعد وقفة طويلة، ومراجعات لأكثر كتب التفسير مطولها وغيره حتى الكتب النادرة، فلم أجد تعليقا على هذا الحرف، ولله تعالى المنة والفضل، ورحم الله أئمتنا وجزاهم خيرا.

على أن الباء ـ هنا ـ يمكن أن نفهم منها معنى الإحاطة والشمول، لهذا السور الحاجز بين الفريقين.

الآية الخامسة:

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق: ١٤].

لم تعلق كتب التفسير على هذه الآية: بشيء، وكل الذي قالوه:(١) أنها زائدة، لأنها تزاد قياسا في مفعول (علم، وعرف) وما أشبههما.

وأقول وبالله التوفيق، ومنه العون، المتدبر لآي القرآن الكريم يجد أن هذا الفعل جاء بغير الباء في مثل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾ [براءة: ٧٨]، ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٠٧].

---

(١) ابن يعيش ـ شرح المفصل ٨/٢٥، وابن هشام، المغني ١/١٠٧.

﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ١٠٦]، وغير ذلك من الآيات الكريمات ولم تجيء الباء إلا في هذه الآية الكريمة.

والذي نحسبه ـ والله أعلم بأسرار كتابه ـ أن هذه الآية الكريمة هي أول آية جاءت بهذه الصيغة، وسياقها يدل أنها جاءت تهديدا وتخويفا لهذا الذي ينهى عبدا إذا صلى وكذب وتولى سواء كان أبا جهل أم غيره، وهو لم يكن من المؤمنين بالله تبارك وتعالى، وبأنه يعلم خائنة الأعين ويسمع ويرى، فكأن العلم هنا مضمن معنى الإيمان والتصديق. والتضمين من سنن العرب في كلامهم وأساليبهم، فكانت الآية وعيدا له وإنكارا عليه لعدم هذا الإيمان والتصديق.

أما الآيات الأخر فنجد أنها جاءت خطابا للمؤمنين، إيمانا حقا ظاهرا وباطنا أو لأولئك المؤمنين بالظاهر، وهم المنافقون، فلم يكن ثمة حاجة لتضمين العلم معنى الإيمان، وسياق الآيات ما ذكرناه، وما لم نذكره يدل على ذلك، وليست الآية التي معنا من هذا القبيل، لذا جاءت الباء في هذه الآية دون غيرها من الآيات المماثلة لها، فضلا عن جمال الإيقاع الذي جاء من وجود الباء بعد الميم حيث الغنّة بسبب الإخفاء الشفوي، كما يقول علماء التلاوة، وهي متلائمة مع قصر الآية الكريمة.

تلك هي الباء في قوله ﴿**ألم يعلم بأن الله يرى**﴾ جمال معنى، وجمال إيقاع.

ثانيا: مــن

وقد ذكروها زائدة في كتاب الله تعالى فيما يقرب من عشرين آية، وهذا بالطبع غير (من) الاستغراقية وسنكتفي ببعض الآيات، فمن ذلك:ـ

قوله تعالى: ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾ [البقرة: ١٠٦]

قوله تعالى: ﴿ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ ﴾ [النور: ٤٣]

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٣٥]

قوله تعالى: ﴿ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴾ [يس: ٣٤]

الآية الاولى: قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا**ننسها**﴾ [البقرة: ١٠٦]

ذهب العكبري[1] إلى أن (من) زائدة، والذي حمله على ذلك أنه جعل لفظ (آية) حالا «والحال لا تدخل عليه كلمة (من) والأدهى من ذلك أنه جعلها حالا» لا لأن المعنى يقتضي ذلك، وإنما قاسها على قوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ [آية ٦٤ من سورة هود] فالآية هنا حال قال، فإذا كانت الآية هنا تعرب حالا، فهي في الآية السابقة كذلك، وهذا قول عجيب لأننا نفرق بداهة من حيث المعنى بين قوله ما ننسخ من آية، وقوله ياقوم هذه ناقة الله لكم آية. فالآية الأولى المقصود بها الآية من القرآن، والآية الثانية المقصود بها العلامة والمعجزة[2]. والإعراب فرع المعنى لكنه جعل المعنى فرعا «للاعراب».

والخلاصة أن (من) لا يتم المعنى بدونها فضلا «عن أن نقول بزيادتها لأننا لا يجوز أن نعرب آية على أنها حال كما هو الحال في آية الناقة إلى هذا أشار صاحب المغني قال: رحمة الله ـ وأما قول أبي البقاء ما ننسخ من آية أو ننسها. أنه يجوز كون آية حالا» و (من) زائدة كما جاءت آية حالا «في ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ والمعنى أي شيء ننسخ قليلا» أو كثيرا، «ففيه تخريج التنزيل على شيء ان ثبت فهو شاذ، أعني زيادة من في الحال، وتقدير ما ليس بمشتق ولا متنقل، ولا يظهر فيه معنى الحال حالا»، والتنظير بما لا يناسب، فإن آية في ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ بمعنى علامة لا واحدة الآي، وتفسير اللفظ بما لا يحتمله، وهو قوله قليلا» أو كثيرا، «وإنما ذلك مستفاد من اسم الشرط لعمومه لامن آية»[3].

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ﴾ [النور: ٤٣]

وقد ذكرت (من) هنا ثلاث مرات (من السماء)، (من الجبال)، (من برد)،

(١) املاء ما منّ به الرحمن ٣٣/١.

(٢) وهذا عليه إجماع المفسرين ولم يخالف في ذلك إلا أبو مسلم بن بحر حيث ادعّى هنا أن الآية بمعنى الرسالة وذلك لأنه ينكر النسخ. الرازي ٢٥٧/٣٠.

(٣) المغني لابن هشام حـ١ ص٣٢٤.

وقد اتفقوا على أن (من) الأولى ابتدائية، ثم اختلفوا فادّعى بعضهم الزيادة في الثانية ومعنى الآية عند هذا الفريق: «وننزل من السماء جبالا» «وادّعى آخرون أن (من) الثانية هي الزائدة والمعنى عنده وننزل من السماء من جبال فيها برد، والحق أن (من) الثانية يمكن أن تكون ابتدائية أو تبعيضية، وكذلك الثالثة إلا أنها يمكن أن تكون بيانية كذلك، فالمعنى على كونهما ابتدائيتين «وننزل ماء يبتديء إنزاله من السماء مبتدئاً» من جبال في هذه السماء مبتدئا «من برد في هذه الجبال، فالماء المنزل ابتدء إنزاله من البرد الكائن في الجبال الكائنة في السماء، والمعنى على كونهما تبعيضيتين «ننزل ماء مبتدئا من السماء من بعض البرد الكائن في بعض الجبال، وعلى كون الثالثة للبيان يكون المعنى، وننزل من السماء من جبال هي البرد» فعلى هذا تكون الجبال نفس البرد وهذا هو معنى البيان.

والذي يترجح لي أنهما أي الثانية والثالثة تبعيضيتان ـ والله أعلم ـ وعلى كل حال فلا داعي للقول بالزيادة.

الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةً ﴾ [العنكبوت آية: ٣٥]

والتقدير عندهم(١): ولقد تركناها آية، وهذا غير وجيه، لأن الضمير في «منها» إما أن يرجع إلى القرية، وإما إلى العقوبة، ولا يستقيم المعنى على كلا التفسيرين، وإنما جعل مما بقي من القرية آية أو جعل من أثر العقوبة آية، فمن تبعيضية إذا رجع الضمير (ها) للقرية أي ولقد تركنا بعض آثار هذه القرية آية. وبيانية إذا رجع للعقوبة أي: ولقد تركنا العقوبة آية. وأظن الذين قالوا بالزيادة حملوا هذه الآية وقاسوها على قول الله تعالى ﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَـٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر: ١٥] حديثا «عن ذات الألواح، والدسّر التي حمل عليها نوح عليه الصلاة والسلام ومن معه، ولعل القاريء إن شاء الله تعالى يدرك ـ كما أدركت ـ أن هناك فرقا بين الآيتين من حيث المعنى، فالله تبارك وتعالى يريد أن يكون من العقوبة لقوم لوط أو من أثر قراهم

---

(١) البحر المحيط ـ ابي حيان الأندلسي الغرناطي حـ٧ ص١٥١.

لمن يمر عليها آية للمعتبرين ١. أما السفينة تلك التي وضع فيها أهل ذلك العالم الصغير وصار منهم هذا العالم الكبير فهي نفسها آية، لأنها بقيت بأجزائها ألواحا ودسرا، فلا ينبغي ولايليق أن نحكم على الزيادة في آية قياسا» على آية أخرى من غير أن ننظر إلى معنى كل واحدة من الآيتين وموضوعها وأسلوبها.

الآية الرابعة: قوله تعالى: ﴿ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴾ [يس: ٣٤].

(ومن) هنا تبعيضية، لأن الله لم يفجر عيون الأرض جميعا، «والذين قالوا[1] بالزيادة قاسوا هذه الآية على قول الله تعالى حكاية عن الطوفان» وفجرنا الأرض عيونا. «ونقول فيهما ما قلناه من قبل فشتان بين ما تشير إليه كل من الآيتين، فالآية الأولى تتحدث عما أكرم الله به الإنسان من تفجير بعض عيون الماء في الأرض نعمة منه سبحانه، والآية الثانية تتحدث عما كان أيام الطوفان عقوبة وانتقاما» ولقد كانت الأرض كلها كذلك.

ثالثا: عــن

قال أبو عبيده عند قوله تعالى ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ ﴾ [النور: ٦٣] مجازه: يخالفون أمره سواء، وعن: زائده[2]

والمفسرون واللغويون غير أبي عبيده والأخفش ومن ردد قولهما على غير ذلك، أي على أن (عن) ليست زائدة.

---

(١) إملاء ما منّ الرحمن للعكبري حـ٢ ص٢٠٥.

(٢) هو معمر بن المثنى التيمي، ولد في سنة (١١٠هـ) ولم تذكر المصادر أين ولد لكن العلماء يضعونه في عداد علماء البصرة. تعلم النحو والشعر والغريب على يد أبي عمرو بن العلاء، وتكاد تتفق كلمة العلماء على أنه من الخوارج، وقد وضعت في عهده أسس العلوم الإسلامية وكان يشارك فيها مشاركة جيدة. توفي بين سنتي (٢٠٩ و ٢١٣هـ).

مجاز القرآن ـ الطبعة الأولى سنة ١٣٨١هـ وسنة ١٩٦٢م مكتبة الخانجي بمصر وانظر البحر المحيط ٤٧٧/٦ ، إملاء ما بين به الرحمن للعكبري ٨٤/٢، والبرهان للزركشي ٢٨٦/٤.

قال ابن جرير عند تفسيره هذه الآية: وأدخلت عن لأن معنى الكلام: فليحذر الذين يلوذون عن أمره. ويدبرون عنه معرضين [1]

وإلى قريب من هذا ذهب أبو البقاء، وذكر الشيخ الجمل في حاشيته على تفسير الجلالين[2] هذا القول، وزاد قولا آخر وهو أن (يخالفون) بمعنى يصدون والمفعول: محذوف، أي يصدون الناس عن أمره، وما نظن أن هناك حاجه لمثل هذا: فمتى كان الأمر خاليا عن الحذف والتقدير كان أولى.

والخلاصة: أن القول بالزيادة إنما نقل عن الأخفش وأبي عبيده، وجمهور العلماء يردونه[3]

والذي يظهر لي بعد ماقالوا، وبعد نقل هذه الأقوال عنهم أن مجيء (عن) في الآية الكريمة لنكتة دقيقة، وغرض بياني، وهو التحذير من مخالفة أي أمر مهما دق، لأننا حيثما نقول: يخالفون أمره، فهذا يمكن أن يشمل الأمور ذات الشأن ولكن عندما قال يخالفون عن أمره، فكأنه يعني: لا ينبغي أن يتزحزحوا عن هذا الأمر ولو قيد أنملة.

هذا المعنى لايتم بدون هذه الكلمة التي وصفها قوم عفا الله عنهم بالزيادة.

رابعا: لعــل.

يدّعي بعض الكاتبين المحدثين[1]. زيادة (لعّــل) في قوله تبارك وتعالى ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٤٦].

فهو يدّعي أنه قد زيدت كلمة لعّل من أجل الفاصلة، فأصل النظم عنده

---

(١) تفسير الطبري ١٨/ ١٣٥

(٢) ٣ /٢٤٣

(٣) لذلك ذكر الشيخ القول بالزيادة بعد القولين السابقين تضعيفا له.

﴿لعلي أرجع إلى الناس فيعلمون﴾ لأن الفعل المضارع ينصب في جواب الترجي. وكنت أود للكاتب أن يقف مع الآية الكريمة، أما وأنه لم يفعل، فلتقف أنت أيها القاريء مع الآية الكريمة في نظمها. وباديء ذي بدء فإنها جرأة أن نقرر زيادة كلمات من أجل الفاصلة، وهو بعدُ باب خطيرٌ أن يفتح، لأنه سيدّعى بأن قضايا كثيرة إنما زيدت لأجل الفاصلة أو النظم، أو السياق، وهذه تشكل خطورة نحن على ثقة من أن الكاتب لا يرضاها.

ولنرجع إلى الآية الكريمة. جاء أحد السجينين، وهو الذي نجا منهما ليوسف عليه السلام، يؤول له الرؤيا، وكان الملك ومن حوله ينتظرون بفارغ الصبر هذا التأويل ذلك لأن لهذه الرؤيا شأناً عند الملك، كما نفهمه من سياق القرآن، وجاء رسول الملك وهو فرح مغتبط، أن يعلم التأويل من يوسف عليه السلام، فمن يدري فلعل هذه تجعل له حظوة ومنزلة عند الملك، وهذا ماكان يرجوه ويتوقعه، ألم يقل ﴿أنا انبئكم بتأويله فأرسلون﴾ هذا التوقع الذي كان يرجوه رسول الملك، وهو ما جاءت من أجله كلمة لعّل الأولى ﴿لعلي أرجع الى الناس﴾. أما الناس، والملك أولهم بالطبع فلقد كانوا يتوقعون تأويل هذه الرؤيا التي أحدثت في أنفسهم هزة وأقضت مضاجعهم، وأرّقتهم، كانوا بحاجة إلى مايزيل ذلك كله عنهم، وهم يتوقعون ان يعرفوا من تأويلها ما يريحهم، ليعلموا ما يترتب على هذه الرؤيا.

كلمة (لعّل) في قوله سبحانه ﴿ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ لم تأت من أجل الفاصلة، وإنما جاءت ليستقر بها الأمر، ويتم بها المعنى، جاءت كلمة أساسية في النظم، ولو كان الأمر أمر الفاصلة، لأمكن أن يقال ﴿لعلي أرجع إلى الناس فيعلمون﴾ فتكون الفاء عاطفة لا للسببية ولن تعدم تخريجا نحويا لها، وقد جاء في التنزيل ﴿لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ أَوْ يَذَّكَّرُ﴾ [عبس: ٣، ٤] برفع يذكّر، ﴿لعّلهم يتقّون أو يحدث﴾ [طه: ٨٣] وعلى ما ذهب إليه الكاتب، فإن لعلّ في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦]. أقول إن لعل على ماذهب إليه ينبغي أن تكون زائدة، جيء بها من أجل

الفاصلة، لأن النظم يصير هكذا ﴿فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي يرشدون﴾ وكذلك قوله تعالى: ﴿لعلهم يتقون﴾ في قوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ٢١]، لأن النظم يكون هكذا ﴿اعبدوا ربكم تتقون﴾ «فيكون مجزوما» بجواب الأمر فزيدت لعل لأجل الفاصلة. وعلى هذا فيجب أن نضيف لقائمة الزوائد كلمة جديدة هي (لعلّ). إننا نجل الكتاب الكريم، والنظم البديع، والكلام المعجز عن مثل ما ذهب إليه الكاتب.

خامسا: إذا ما.

ذكرت إذا كثيرا في كتاب الله، ولكنها في بضع عشرة مرة ذكرت بعدها (ما)، وكل الذي تسمعه أن (ما) زائدة بعد (إذا) للتأكيد، ولكن إذا كان الأمر كذلك فلم تركت في عشرات المواضع، وذكرت في هذا العدد النزر القليل؟ لابد اذن من سر بياني، ولطيفة من لطائف الإعجاز، وهذا ما سنعرضه بعد قليل إن شاء الله بعد أن نذكر لك أمثلة من النظمين الكريمين.

(١) قال الله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟ ﴾ [البقرة: ٢٨٢] - وقال سبحانه: ﴿ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [النور: ٤٨]

(٢) قال سبحانه: ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [المائدة: ٩٣].

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ [الاعراف: ٢٠١].

(٣) قال تعالى: ﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ ﴾ [براءة: ٩٢].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ ﴾ [النور: ٦٢].

(٤) قال تعالى:

أ - ﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا ﴾ [براءة: ١٢٤]. وقال سبحانه: ﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ ﴾. [براءة - ١٢٧].

ب - قال سبحانه: ﴿ وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُن مَّعَ الْقَاعِدِينَ ﴾ [براءة - ٨٦].

(٥) قال سبحانه:

أ - ﴿أثم إذا ما وقع آمنتم به الآن وقد كنتم به تستعجلون﴾.

ب - وقال سبحانه:

﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ [النمل - ٨٢].

(٦) قال سبحانه:

أ - ﴿وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ [مريم - ٦٦].

ب - وقال سبحانه:

﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [الصفات - ١٦].

(٧) أ - قال سبحانه:

﴿ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [فصلت - ٢٠].

ب - قال سبحانه: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ [الزمر - ٧١].

ارجع الى كل مجموعة من هذه الآيات الكريمة، وستجد أن (ما)، جاءت حيث استدعى السياق وجودها، وكانت هناك كلمة بيانية وغرض بلاغي، خذ المجموعة الأولى مثلا: ﴿ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا﴾، أن شهادة الشهداء أمر تتعلق به مصالح الناس وحقوقهم، وهؤلاء الشهداء قد يجدون إحراجا «وضيقا» من إدلائهم بالشهادة كان لا بد ـ إذن ـ من ان يؤكد لهم هذا المعنى، فجاءت (ما) لتؤدى هذه الرسالة الكبيرة العظيمة.

أما الآية الثانية فلا تتطلب هذا التأكيد، فإنها تتحدث عن واقع المنافقين، بأنهم إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم، يعرض فريق منهم.

فإذا انتقلت إلى المجموعة الثانية، وجدت أن (ما) تتحدث عن قضية خطيرة كانت تشغل المؤمنين، وهي مصير أولئك الذين ماتوا قبل أن تحرم الخمر تحريما قاطعا ماذا سيكون مصيرهم في الآخرة؟ فجاءت الآية الكريمة تبين أن اولئك ليس عليهم جناح فيما طعموا وإذا اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات، فالأمر ـ إذن ـ بحاجة إلى هذا التأكيد، لأنها تتحدث عن المتقين وتلك سجية فيهم، أنهم إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا.

أما المجموعة الثالثة، وهي التي اشتمت عليها سورة براءة، فإن الآيات التي ذكرت فيها (ما) جاءت عقب قوله سبحانه: ﴿يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة وأعلموا أن الله مع المتقين﴾ ثم بينت أن أولئك يمارون، ويجادلون ويراوغون، سواء كان ذلك بألسنتهم، أم بنظراتهم، فتارة ﴿أيكم زادته هذه إيمانا﴾، وأخرى نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد ﴿ولكن الآية الثانية، حدثت عن أمر طبعي لأولئك المنافقين ﴿استأذنك أولو الطول منهم﴾.

وعلى هذا نستطيع أن نفهم ما بقي من الآيات ألا ترى إلى قوله سبحانه: ﴿حتى إذا ما جاؤوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم﴾ من أنه أراد تأكيد هذا المعنى، الذي دلت عليه (إذا)، ثم ألا ترى كيف استغربه أولئك حيث قالوا

لجلودهم ﴿لم شهدتم علينا﴾ لأن فتح الأبواب بعد المجيء أمر لا بد منه، بل كان المجيء من أجله، وإذا قلنا أن الجواب محذوف، فالأمر فيه كذلك، أي حتى إذا جاؤوها وجدوا. ما يزعجهم ويؤلمهم.

وانظر إلى قوله سبحانه ﴿ أَءِذَا مَامِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴾ [مريم - ٦٦] كيف أكد هذا المعنى، ثم كيف كان الرد عليه ﴿فوربك لنحشرنهم والشياطين﴾. وانظر إلى قوله سبحانه ﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى ٣٧] ألا ترى أن الغفران بعد الغضب أمر صعب على كثير من النفوس، فكان لا بد أن تأتي (ما) تحث المؤمنين على هذه الفضيلة التي لا بد أن يروضوا عليها نفوسهم، كذلك قوله سبحانه « فَأَمَّا ٱلْإِنسَـٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَـٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَـٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَـٰنَنِ ﴾ [الفجر ١٥ - ١٦] تلك قضية فكرة اجتماعية جاء القرآن ليردها، ولذلك كان الرد حاسما محكما، « كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴾ [الفجر ١٧].

ومن هنا تدرك أن (ما) لم تزد بعد (إذا) كما يدعون، وأنها لم تجيء عرضا، وإنما جاءت لتؤدي غرضا، ونعم الغرض الذي أدته.

والحق أن ما سموه زائدا هو من أعظم روافد الإعجاز وهو بحق يحتاج إلى مؤلف خاص، ذلك لأن هذه الزوائد التي عدوها خمس عشرة أداة، ورأيناها تصل إلى ست وعشرين كلمة، بحاجة إلى استقصاء من حيث الآيات القرآنية، وهذا أمر يتطلب جهدا، ونسأل الله تالى أن يوفقنا لمثل هذا العمل الجليل، ولله الحمد والمنة.

الفصل الثاني
الحذف

والنحويون الذين قالوا بزيادة الحروف في كتاب الله تعالى لم يقفوا عند هذا، بل رأوا كذلك أن هناك حروفا محذوفة، قدروها هم كما يحلو لهم. والحق أن قضية حذف الحروف لم تفت العلماء والمحققين، فهذا ابن جني في «الخصائص» ينكر على القائلين بالحذف، نحن معه فيما قال، إلا أن الأمر فيما نرتئيه يحتاج إلى شيء من التفصيل.

فالحروف ليست سواء هناك حروف قد تحذف من الكلمة بهدف التخفيف، ولكنك بعد حذفها تجد دليلا عليها، أي تدرك لأول وهلة أن في الكلمة حرفا محذوفا وذلك كالياء التي حذفت من أواخر الكلمات، كـ «يسر» في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾، [الفجر - ٤] وقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ [ابراهيم - ١٤]، والتاء في مثل قوله سبحانه: تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ [البقرة - ٨٥]، وأدوات القسم فيما يدل عليها دليل في مثل قوله سبحانه: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ [الحديد - ٢٥]، وأدوات النفي في مثل قوله تعالى: ﴿ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ ﴾ [يوسف - ٨٥].

مثل هذه إن حذفت، فإن هناك دليلا يدل عليها، فحذفها وذكرها سيان، بل حذفها أيسر من ذكرها، ولكن هناك حروفا ادَّعَوْا حذفها، دون أن يكون عليها دليل كبعض حروف العطف، وحروف الجر، بل إن هذا الحذف فضلا عن أن لا دليل عليه، فإنه لا يساعد عليه المعنى. وسأضرب بعض الأمثلة لذلك.

ولكنني قبل هذا أراني مضطرا الى تسجيل هذه الملحوظة المؤلمة، وهي أن ما قرره بعض النوحيين من قضية الحذف والزيادة، يأخذه بعض الكاتبين عنهم دون

تمحيص، ودون نظر إلى المعنى، أيستقيم مع القول بالحذف أو الزيادة، أم لا يستقيم؟، والأنكى من ذلك أننا نجد بعض الكاتبين المحدثين، الذين تصدوا للكتابة عن الإعجاز وعن النظم، ينقلون هذه الأقوال في كتبهم، على أنها وجوه من وجوه البلاغة والإعجاز البياني، وما هي - يعلم الله كذلك - ويا حبذا لو أنهم رجعوها إلى مصادرها، وهذا ما تقتضيه الأمانة العلمية، ولو فعلوا ذلك لكان خيرا لهم وأقوم قيلا، فيدرك القارىء المصدر الذي رجعوا إليه، ويسلمون هم من تبعة هذا القول، وهذا كثير مع كل أسف.

أمامي كتاب «فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم» للدكتور فتحي عامر، يتحدث فيه عن حذف الحرف، وكل الأمثلة التي ذكرها مأخوذة من كتاب البرهان في علوم القرآن «للزركشي. ولكن الزركشي - رحمه الله - والحق يقال - ذكر في أول بحثه هذا اختلاف العلماء في جواز حذف الحرف، إلا إذا دل عليه دليل. ونقل عن ابن جني أن الحرف ينوب عن الاسم أو الفعل، وإنما ذكر اختصارا، فإذا قلنا: «هل يطلع الفجر عل المستضعفين؟ «فمعنى هذا: أستفهم وأسأل عن طلوع الفجر، (فهل) نابت عن جملة «أستفهم» و «أسأل». وإذا قلنا: «تفوز الأمم إلا الضعيفة»، فمعنى هذا: «نستثني الأمة الضعيفة» فنابت «إلا» عن جملة «أستثنى»، وعلى هذا يرى ابن جني أنه لا يجوز حذف الحرف، لأنه جيء به اختصارا للكلام، واختصارا المختصر إخلال.[1]

ولكن الكاتب - سامحه الله - لم يشر إلى شيء من هذا، إنما تحدث عن بعض الحروف التي ذكرها الزركشي، من غير ما إشارة إلى الزركشي، أو إلى غيره.

وسأقف بك عند نوعين من هذه الحروف، حروف العطف أولا، وحروف الجر ثانيا.

---

(١) أبو الفتح عثمان ابن جني الموصلي (ت ٣٩٢هـ - ١٠٠٢م) من أئمة الادب والنحو، وله شعر. ولد بالموصل وتوفي في بغداد، وكان أبوه مملوكا روميا لسليمان بن فهد الأزدي الموصلي. من تصانيفه: «شرح ديوان المتنبي» «المبهج»، «سر الصناعة» (الإعلام ٤/٤)الخصائص - تحقيق محمد علي النجار - دار الهدى للطباعة والنشر/ لبنان - ٢/٢٧٣.

أولا: حذف حروف العطف:

١ ـ قوله سبحانه: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [البقرة ـ ٦٧].

قالوا: والتقدير: ﴿فقال: أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين﴾ فقد حذفت الفاء في هذه الآية.

٢ ـ في قوله سبحانه: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ ﴾ [القصص ـ ٧٩] قالوا: والتقدير ﴿وقال الذين يريدون الحياة الدنيا﴾.

واكتفى الكاتب بنقل هذين المثالين في حذف حرف العطف، ولكن صاحب البرهان ذكر أكثر من هذا، ومنها:

٣ ـ قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا ﴾ [آل عمران ـ ١١٨]. قال والتقدير: «ولا يألونكم».

٤ ـ ومنها: قوله سبحانه : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴾ [الحاشية ـ ٨] قال: والتقدير ووجوه يومئذ ناعمة.

٥ ـ ومنها قوله سبحانه: ﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴾ [التوبة: ٩٢] قالوا والتقدير: وقلت.

٦ ـ ولقد ذكر غير الزركشي أمثلة أخرى، منها ما جاء في إعراب القرآن المنسوب للزجاج(١) ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ [البقرة: ٣٠] قال والتقدير: فقالوا.

---

(١) اعراب القرآن للزجاج ٨٠٣/١.

٧ ـ وما ذكره القرطبي[١] عند قوله تعالى ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ ﴾ [البقرة ـ ١٨٠].

قال: التقدير: «وكتب» فهو معطوف على قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ﴾ [آية ١٧٨].

٨ ـ ومنه قوله سبحانه: ﴿ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ [الليل ١٥، ١٦] قال: والتقدير: والذي كذب.

٩ ـ ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف ٢٢] قالوا والتقدير: «ورابعهم».

١٠ ـ ومنها قوله سبحانه: ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ﴾ [القصص: ٦٣]. قالوا: والتقدير: «وأغويناهم».

١١ ـ ومما ذهبوا فيه إلى الحذف كذلك قوله سبحانه: ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ ﴾ [البقرة ـ ١٨، وآية ١٧١]. قالوا: والتقدير: « صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ ».

ثانيا: حروف الجر

١ ـ قوله سبحانه: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة ـ ٥]، قالوا: والتقدير: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾.

٢ ـ قوله تعالى: « وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ [البقرة ـ ١٣٠]، قالوا: والتقدير: «في نفسه».

---

(٢) أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي المفسر، كان من عباد الله الصالحين، والعلماء العارفين الورعين الزاهدين في الدنيا، والمشغولين بما يعنيهم من أمور الآخرة، أوقاته معمورة ما بين توجه وعبادة وتصنيف. توفي سنة ٦٧١هـ.
الجامع لأحكام القرآن ـ مطبعة دار الكتب المصرية/ القاهرة ـ ١٣٧٢هـ / ١٩٥٢م. ٢/٢٥٨.

٣ - قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَـٰبُ أَجَلَهُۥ ﴾ [البقرة - ٢٣٥].

٤ - قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ ﴾ [آل عمران - ١٧٥]، قال التقدير: [يخوفكم بأوليائه].

٥ - قوله تعالى: ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا ﴾ [الأعراف - ١٥٥] قال، التقدير: ﴿واختار موسى من قومه﴾.

٦ - قوله تعالى: ﴿ فِى كِتَـٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴾ [صلة - ٥٢] قالوا: والتقدير: ﴿لا يضل عن ربي﴾.

٧ - قوله تعالى: « لَّا تَجْعَلُوا دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور - ٦٣].

والحرف الذي قدروه في هذه الآية الكريمة (على)، ومعنى الآية عندهم: لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم على بعض.

٨ - قوله تعالى: ﴿ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا ﴾ [القمر - ١٢] قالوا: والتقدير: ﴿وفجرنا من الأرض عيونا﴾ أو ﴿وفجرنا الأرض بعيون﴾.

٩ - قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴾ [المزمل - ١٧]، وتقديره: «كفرتم بيوم».

وأكتفي بما ذكرته لك، فإن أردت مزيدا، فارجع الى كتاب ﴿البرهان في علوم القرآن﴾ للزركشي، وكتاب «إعراب القرآن» المنسوب للزجاج.

مناقشة ما ذهبوا إليه:

حينما ننظر في هذه الآيات الكريمات نظرة تدبر، نجد أن القول بالحذف مرفوض ومردود، ولئن أجاوزا لأنفسهم القول بحذف الواو، وحذف حرف جر، فلا أدري كيف أجازوا لأنفسهم القول بحذف (الفاء)، والفاء للترتيب والتعقيب، وكيف يمكن أن يحذف حرف يدل على معنيين، إن التبصر في فهم القرآن واجب، وإن التكلف في تأويله ممقوت وهو خروج عن سنن البيان، ومنهج الإعجاز، وروعة الإيجاز.

إن القول بالحذف فيه إهمال للسياق والمعنى كليهما، بل هو تهوين لشأن النظم كذلك، فلقد مثل صاحب البرهان لهذا الحذف بقوله سبحانه: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾ [هود - ٥]، قال: والمعنى: «فقال يا قوم»، ولكن ما الدليل على هذه الفاء التي حذفت؟ ومن العجب أن جعل الدليل ما جاء في آية أخرى «فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ» [المؤمنون - ٢٣]. الدليل على حذف حرف من آية، ذكره في آية أخرى.

ويقيني بدقة النظم في كتاب الله تعالى، يقيني ويقيك هذه المنزلقات، وإذا أردنا أن نفهم القرآن هذا الفهم، وأن نخرج آياته على هذا التأويل، سيختلط الأمر، ويختبط الفكر، ويخترق الستر. فماذا نقول في قول الله سبحانه: ﴿ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴾ (ق - ٢٣، ٢٧]. ترى أنكون من عشاق الحذف، فنقول في قوله سبحانه: وقال قرينة «بأن هنا واوا محذوفة، دلت عليها الآية التي قبلها، أم نكون من عشاق الزيادة فنقول إن الوار في قوله «وقال قرينه زائدة لأن الآية التي تليها جاءت بدون واو».

وكذلك قوله سبحانه: ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ ﴾ [البقرة - ٤٩]، وفي آية أخرى ﴿ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ ﴾ [ابراهيم - ٦]. أفنكون من عشاق الزوائد فندعي زيادة الواو في الآية الثانية، لأن الآية الأولى جاءت خالية من الواو؟ أم نكون من هواة الحذف، فندّعي أن الآية الأولى حذفت منها الواو؟ وهذا كثير في كتاب الله تعالى.

والحق الذي لا مرية فيه، والذي يتفق مع شفافية الأسلوب ونضارته، وسداد المعنى ورونقه، وجلاله ومتانته، أن لا حذف ولا زيادة، إنما جاءت كل واحدة على أبدع صورة، وأعذب وأعجب تركيب.

أولا: حروف العطف

وإليك بإيجاز ما يؤنس نفسك، ويرهف حسك، ويبهجك روقا، ويروقك ذوقا، وسأرتب لك الآيات على ترتيب السور:

١ - قوله تعالى: ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ [البقرة ١٨، ١٧١]. قالوا: إن هناك واوين محذوفتين، والتقدير: ﴿صم وبكم وعمي﴾، واستدلوا[1] لذلك بقوله سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الأنعام - ٣٩].

ونحن إذا استعرضنا الآيات الكريمة التي جاءت فيها هذه الأوصاف، فإننا سنجد أن هناك آيتين في سورة البقرة، إحداهما في سياق المنافقين، وهي هذه الآية، والأخرى في سياق الكافرين وهي قوله سبحانه ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة - ١٧١].

(١) اعراب القرآن المنسوب للزجاج ٢/٨٠٣.

وسورة البقرة مدنية ـ كما نعلم، وهناك آيتان أخريان في سورتين مكيتين، إحداهما في سورة الأنعام، وهي الآية الآنفة الذكر، والأخرى في سورة الإسراء، وهي قوله سبحانه: ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الآية ٧٩]، وإنما جاءت آية الإسراء على هذا الترتيب، مغايرة من حيث نظمها حيث قدم فيها ما أخر في الآيات الثلاث، وما ذلك إلا لأن الحديث فيها عن يوم القيامة، وهو حري أن تقدم به صفة العمي، لأنه أشق ما يكون عليهم في ذلك اليوم.

أما توسط حرف العطف بين هذه الصفات، فالذي نحسبه ـ والله أعلم بما ينزل ـ أن الآية الكريمة أرادت أن تعدد لنا أوصاف الكافرين، فبعضهم يحشرون عميا، وبعضهم بكما، وآخرون صما، فليس المراد جمع هذه الصفات الثلاث لفئة واحدة، وذلك ما نستند في فهمه الى كتاب الله تعالى، قال سبحانه) ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه ١٢٤، ١٢٦].

ثم إن حشرهم على هذه الهيئة منسجم مع المنطق، لأنهم إذا كانوا عميا وبكما وصما، فسيفقدون كثيرا من أنواع الإحساس، لكنهم إذا كانوا على صفة واحدة، فإنهم سيشعرون باللوعة والضيق، لأنهم إن فقدوا حاسة من هذه الحواس فسيبقى لهم غيرها، كي يشعروا بالألم والعذاب.

أما آية الأنعام، فيذهب المفسرون إلى أن (الواو) فيها للاستئناف، ومعنى هذا أنها تتحدث عن المكذبين في الدنيا، ويرون أن (الواو) إنما جاءت لتغاير الوصفين، وإنما ترك العطف في غيرها لنكتة اقتضت ترك العطف، هذا ما قرره علامة الرافدين الشهاب الألوسي[1] ـ رحمه الله ـ ولكنه لم يذكر لنا هذه النكتة التي اقتضت ترك العطف في آيتي البقرة.

(١) روح المعاني ١٤٧/٧.

والذي يلوح لي بعد تأمل أن الأمر ليس كما ذكروا، وأن الواو ليست للاستئناف، وإنما هي للعطف، واستدل لذلك ـ والله أعلم ـ بسياق الآيات، فالآية التي قبل هذه الآية ﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ثم إلى ربهم يحشرون، والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات﴾ فأنت ترى أن الآية الكريمة، إنما جاءت عقب الحديث عن الحشر، فبعد أن ذكر الحشر لهذه الأمم جميعا، خص الحديث عن أولئك المكذبين، لأنهم هم المقصودون، أما دواب الأرض والطيور فليس هناك غرض ليتحدث عما سيحدث لها بعد هذا الحشر.

وعلى هذا يكون العطف في الآية دالا على تغاير الذوات والأنواع، لا على تغاير الصفات فحسب.

أما آيتا البقرة، فلم يكن حاجة إلى العطف فيهما، لأن الهدف بيان أن أولئك القوم لما لم يستعملوا حواسهم فيما يرشدهم إلى الخير، صاروا وكأنهم قد حرموا هذه النعم جميعا.

وهكذا نرى أن ما قدروه من حرف محذوف لا يتفق مع جلال النظم ودقة المعنى، وروعة السياق، وجمال الأسلوب.

٢ ـ وفي سورة البقرة أيضا، قوله سبحانه ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ [الآية ٣٠]، وكذلك قوله سبحانه ﴿قالوا أتتخذنا هزوا﴾ حيث قدروا (فاء) محذوفة في الآيتين.

ولكنك إذا أمعنت النظر في النظم الكريم، وجدت بهجة المعنى فيما جاء عليه هذا النظم.

في الآية الأولى يخبرنا القرآن الكريم بأن الله قال للملائكة ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾، ولو أنه قيل «فقالوا أتجعل فيها» لفهم من هذا أن قول الملائكة كان مرتبا على قول الله، دون مهلة ولا تريث، وذلك مالا يتفق مع

جلال الملائكة، وتعظيمهم وخشيتهم لله تبارك وتعالى، هذه الفاء التي قدروها، يختل بها المعنى.

والذي نفهم به الآية الكريمة ما جاء عليه النظم، فحينما قال الله: ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ تتشوف النفوس، وتتشوق القلوب، وتتساءل ماذا قال الملائكة يا ترى؟، فتأتي الإجابة ﴿قالوا أتجعل فيها﴾، فالجملة القرآنية جاءت جوابا عن سؤال مقدر في النفوس. وهذا لا شك له أثر نفسي عند المخاطبين جميعا، لأنه يمكنهم من المشاركة في استخراج المعاني في الآية الكريمة، ولذا قرر علماء البيان، وأئمة البلاغة، أن الأمر حينما يكون من باب الاستئناف، فإنه يكون أكثر تأثيرا، وهذا ما يذكرونه في باب الفصل والوصل.

الآية - إذن - من باب الاستئناف البياني.

٣ - كذلك قوله سبحانه ﴿ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ ﴾ [البقرة ٦٧]، فإن أمر الفاء التي قدروها محذوفة لا يستقيم المعنى، ويقال فيها ما قيل فيما قبلها. الآية - إذن - من باب الاستئناف البياني، وهو أحسن هنا وأكثر تأثيرا من العطف الذي تكلفوا له القول بالحذف.

٤ - أما قوله سبحانه ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ ﴾ [البقرة - ١٨٠] حيث قدروا (واوا) عاطفة تجمع بين هذه الآية وبين التي قبلها وهي ﴿كتب عليكم القصاص في القتلى﴾.

والحق أن تدبر الآيتين يحسن - إن لم نقل يحتم - القول بعدم العطف، ولقد فطن أبو حيان - رحمه الله - في البحر المحيط[1] لهذه الدقيقة، حيث رد على القائلين بالحذف، وإليك خلاصة ما قال:

إن قوله سبحانه ﴿كتب عليكم القصاص في القتلى﴾ يدل على أن هناك أناسا

(١) ٢ / ١٦.

سيقتص منهم فيقتلون، وهؤلاء بالطبع هم من الذين يحضرهم الموت، فقوله سبحانه ﴿كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت﴾ إنما هو متعلق بما قبله، لأن هؤلاء الذين حضرهم الموت، منهم أولئك الذين سينالهم القصاص، فكأنه قيل: ﴿فهل كتب على هؤلاء الذين سيقتص منهم قبل أن يقتلوا شيء، فجاء الجواب يشمهلم وغيرهم، فكأنه قيل ﴿كتب عليهم وعلى غيرهم ممن حضره الموت، إن ترك خيرا الوصية. ويؤيد ما ذهب إليه أبو حيان مجيء ضمير المخاطبين في الآيتين.

٥ ـ أما آية آل عمران: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا ﴾ [الآية ١١٨].

فالحقيقة أن القول بوجود حرف محذوف يفسد به النظم، فليس معنى الآية: لا تتخذوا بطانة من دونكم ولا يألونكم خبالا، لأنه يؤدي إلى أن هذه البطانة منهم من يألوننا خبالا، ومنهم غير ذلك، وهذا لا تقصد إليه الآية من قريب أو بعيد، وإنما المعنى لا تتخذوا بطانة من دونكم، ثم بين القرآن الأسباب التي من أجلها نهانا عن أن نتخذ الكفار بطانة، فكأنه قيل لم؟، فذكر أسبابا كثيرة، كل واحد منها يكفي كي لا نوالي أولئك.

وهذه الأسباب كلها جاءت على سبيل التعداد بدون حروف عطف، كان السبب الأول: ﴿لا يألونكم خبالا﴾ أي لا يقصرون في إفسادكم وخبالكم، وكأنه قيل: وهل هناك شيء آخر، فقال ﴿ودوا ما عنتم﴾، أي: أحبوا عنتكم ومشقتكم وصعوبة الأمر عليكم، وكأنه قيل: وهل هناك شيء آخر؟ فقال: قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر﴾.

٦ ـ أما آية التوبة ﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴾ [الآية ٩٢].

فذكروا[1] أن النظم هكذا: ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم وقلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا﴾.

والحقيقة أن هذا نظم ينبو عنه القرآن الكريم، ذلك لأنهم ما أتوا النبي ﷺ إلا ليحملهم، ولكن النبي عليه وآله الصلاة والسلام ـ وقد كرمه الله فجعل رزقه كفافا ـ قال لهم ما قال، ففعل الشرط وجوابه خاصان بالنبي الكريم، والذين قالوا بحذف الواو، جعلوا جملة: تولوا جوابا لإذا. وهذا الذي ينبو عنه النظم ـ كما قلت من قبل ـ؛ لأنهم ما جاءوا النبي ﷺ من أجل أن يتولوا باكين.

المعنى الذي يلائمه النظم ـ إذن ـ هو أن تكون جملة أتوك فعل الشرط، وجملة قلت جوابه، إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه. وهنا تستشرف النفوس لتعرف ما كان من شأن أولئك البررة، فكأنه قيل فماذا فعلوا بعد أن سمعوا من النبي ﷺ ما سمعوا؟ قيل: تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا، وهكذا نجد القول بالحذف، قولا مردودا صناعة ومعنى، ونسقا فنيا.

٧ ـ قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ [الكهف ـ ٢٢].

وقد قدروا أن هنا واوين محذوفتين،

إحداهما: «ورابعهم».

والثانية: «وسادسهم»

وقد نسوا ـ عفا الله عنهم ـ قوله سبحانه «رجما بالغيب»، ولعمري ما يضير القرآن لو وضع هذه الواو، إذا كانت من صلب النظم فيه، ولعمري كذلك لم ذكرها مرة واحدة، وكان من الممكن أن تحذف وأن يقدرها المقدرون؟

---

(١) اعراب القرآن للزجاج ٢/٨٠٤.

إن تلك جرأة على كتاب الله تعالى. ما كنا نود أن يقدم عليها مثل أولئك الذين نحسن الظن بهم، ولقد رأيت تعليقا للرافعي ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابة «إعجاز القرآن». يرد فيه على بعضهم في شأن هذه الواو، أجتزىء منه ما يلي، قال رحمه الله:

«إنما كانت ـ أي الواو ـ في هذه الجملة، دون غيرها مما تقدمها، لتؤذن بأن الذين قالوا أنهم سبعة كانوا على ثقة مما قالوه ولم يرجموا بالغيب، ولهذا فصلوا بين القوم وبين كلبهم الذي ليس منهم إلا في العد، وارتفاع هذه الواو من الجملتين الأوليين جعلهما لا تصفان إلا الشك، وجعل سياق الكلام يؤكد أن الحساب في الجملتين من الغلط، وإن القول به لم يصدر على القطع والتحقيق، ولذا قال ابن عباس: حين وقعت الواو انقطعت العدة، أي لم يبق بعدها وجه للعدد وثبت أنهم سبعة وثامنهم كلبهم، فتأمل كيف انتظمت هذه الواو معنى الآية كلها، وكيف تكون البلاغة المعجزة التي تجعل في تركيب الكلام أسرارا كأسرار الخلق الحي»[1].

٨ ـ قوله سبحانه: ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴾ [القصص ـ ٦٣].

قال الزجاج[2] رحمه الله تعالى:

«إن هنا واوا محذوفة، والتقدير: «وهؤلاء الذين أغوينا وأغويناهم كما غوينا».

ونوقن بأن أدنى تدبر للآية الكريمة، من شأنه أن يجعل المتدبر، يلفظ ويرفض هذا القول، ولا يسمح لنفسه أن يتلفظ به، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ويوم يناديهم

(١) مصطفى صادق الرافعي ـ اعجاز القرآن والبلاغة النبوية ـ دار الكتاب العربي/ بيروت ـ الطبعة التاسعة ـ ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م ـ ص٦٩.

(٢) اعراب القرآن / الزجاج ـ ٢/٨٠٣.

فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون، قال الذين حق عليهم القول ربنا هؤلاء الذين أغوينا﴾.

ولا أدري لم لم يقدروا واوا أخرى محذوفه في قوله سبحانه ﴿تبرأنا إليك﴾؟ فليس أحد الموضعين أولى من الآخر بهذا التقدير.

إن القول بالحذف، يؤدي إلى ركاكة النظم وهو ما يجل عنه كتاب الله تبارك وتعالى، فكيف يمكن أن يقال «هؤلاء الذين أغوينا وأغويناهم» والعطف يقتضي التغاير والجملتان من وادٍ واحد، ونذهب الى ما ذهب إليه أئمة التفسير والنحو، فأبو حيان[1] في بحره ونهره ذهب إلى أن قوله سبحانه: ﴿هؤلاء الذين أغوينا﴾ مبتدأ صفته: «الذين» و«أغوينا» صلة الموصول لا محل لها من الإعراب، وقوله «أغويناهم كما غوينا» هو الخبر، وإنما جاز أن يكون خبرا، لأنه مقيد، أي أغويناهم كغينا.

وذهب أبو علي الفارسي[2] إلى أن قوله سبحانه: ﴿هؤلاء الذين أغوينا﴾ مبتدأ وخبر، وقوله ﴿أغويناهم كما غوينا﴾ جملة مستأنفة.

ونحن إذا تأملنا الآية الكريمة وتدبرناها حق التدبر، فربما يترجح لنا قول الفارسي، ذلك لأنه قوله «هؤلاء الذين أغوينا» كلام مستقل بذاته، ثم جاءت الجملة الثانية مستأنفة كأنه قيل: فيكف أغويتموهم؟ فقيل: «أغويناهم كما غوينا».

وسواء اختير قول أبي حيان، أو قول الفارسي، فإن القول بحذف الحرف مستبشع مستكره، من حيث الوضع والطبع معا.

٩ ـ قوله تعالى: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴾ [القصص ـ ٧٩، ٨٠]

(١) البحر المحيط ١٢٨/٧.
(٢) الجمل على الجلالين ٣٥٦/٣.

قالوا: إن هنا واوا محذوفة، والتقدير: «فخرج على قومه في زينته وقال الذين» ويا ليتهم قبل أن يقرروا ما يريدون، أن يقفوا مع حس القرآن ونسقه. إن العطف يقتضي الاشتراك ـ كما نعلم ـ فإذا قلنا: فرح المجاهدون وحزن القاعدون»، فنحن نود من أول وهلة أن نقرر الاشتراك. والنظم في الآية ليس من هذا القبيل، وإنما يريد أن يقرر الـقرآن إن قارون حينما خرج على قومه في زينته اختلف الناس في شأنه، لأن منهم صاحب الإيمان القوي، ومنهم دون ذلك، فلم يرد القرآن أن يجمع بين الخروج وبين القول، وإنما المعنى الذي يعين عليه النظم أنه حينما قيل: ﴿فخرج على قومه في زينته﴾، تساءل المتسائلون، فماذا كان شأن الناس؟ فقيل: «قال الذين يريدون الحياة الدنيا».

ثم إن حذف الواو يفيد نكتة بديعة أخرى، وهي أن هؤلاء الذين يريدون الحياة الدنيا، لمجرد رؤية قارون فيما هو عليه من زينة، قالوا ما قالـوه. ـ الحذف ـ إذن مستبعد ومستكره كذلك.

١٠ ـ قوله تعالى: « وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ » [الغاشية ـ ٨].

قالوا: هنا حرف عطف مضمر محذوف. والتقدير «ووجوه يومئذ ناعمة». ولم أجد من المفسرين من أروى قوله ذا ظمأ، اللهم إلا جملة عند أبي السعود، نقلها عنه الألوسي والشيخ الجمل، وهي قوله: إنه ترك العطف «إيذانا بكمال تباين مضمونيهما»[1].

ولقد وقفت عند هذه الآية، وعندما يشبهها من كتاب الله تعالى، وهي قوله سبحانه ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴾ [عبس ـ ٣٨ـ ٤٠]. ولعل عذر القائلين بالحذف، أنهم وجدوا هذه الواو جيء بها في هذه الآية الكريمة « ووجوه يومئذ عليها

(١) الجمل على الجلالين ٤/٥٢٦.

غبرة» فقاسوا آية الغاشية عليها.

ولكننا حينما نمعن النظر في الآيات، نجد فروقا بين الموضعين، فأنت ترى أن الآية الأولى التي عطفت بالواو، كان الحديث فيها حديثا مجملا، غير مفصل «وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليهاغبرة ترهقها قترة»، ذلك لأن ما قبل هذه الآية، يستدعي إجابة عن الفريقين، وهو قوله سبحانه: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس - ٣٧]. وهذا بالطبع يشمل المؤمنين والكافرين معا، ولا يخص فريقا دون فريق، إذن لا بد أن يبين حال الفريقين فقال: «وجوه»، «ووجوه».

أما سورة الغاشية فالأمر يختلف فيها اختلافا كليا، فالحديث من أول السورة كان عن فريق واحد، ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ ﴾ [الغاشية - ١]، وهذه التسمية تشير إلى ما يغشى أولئك المعرضين من العذاب، ثم بدأ يفصل في شأن أولئك الذين يغشاهم العذاب، فبين وفصل وشرح كثيرا من أحوالهم، وما يلقونه وما يصلونه، وما نوع طعامهم. ولما انتهى من أمرهم انتقل للحديث عن الفريق الآخر، وكانت روعة النظم وجودة السبك، وفخامة المعنى تقتضي ترك العطف، لأنه لو عطف، لكانت الغاشية للفريقين معا، كما في قوله تعالى «لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه»، ولكن الأمر ليس كذلك كما عرفت.

إذن الحديث من أول السورة عن فريق واحد، فلما انتهى من شأنه جاء دور الحديث عن فريق آخر لم يتحدث عنه من قبل، فكان من الأولى أن يكون الحديث عنه بطريق الاستئناف، ذلك ما يبدو لي - والله أعلم بمراده - فيما يتصل بهذه الآية الكريمة. وأرجو أن تتأمل ما قلته لك، لتتذوقه كما تذوقته.

١١ - قوله تعالى: ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ۝ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [الليل - ١٥ - ١٦]. قالوا: وأصل النظم والذي كذب وتولى «فجعلوا الذي يصلى النار نوعين الأشقى أولا، والذي كذب وتولى ثانيا، ولا أدري لم هذا التكلف

والتمحل؟ أفيكون هناك أشقى من الذي كذب وتولى؟ ولماذا كان هو الأشقى، أليس لأنه كذب وتولى؟ إن الذي حملهم على القول بالحذف، هو أنهم جعلوا الأشقى وصفا لشخص معين، مع أن القرآن لم يحدثنا عما يسند ذلك القول ويصححه. إن الأشقى هو نفسه الذي كذب وتولى. فالقول بالحذف ـ إذن ـ كديد، غير سديد.

هذه بعض حروف العطف التي قالوا بحذفها، ولا تظنن أننا نستطيع الاستقصاء، ولا نود كذلك، وإنما نريد أن نأتي لك بأمثلة لتكون عونا وهاديا فيما يعرض لك، أو يعرض عليك من هذا القبيل.

ثانيا: حروف الجر:

١ ـ قال تعالى « ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ » [الفاتحة ـ ٦].

يقول صاحب اعراب القرآن، إن في هذه الآية حرفا محذوفا، وهو (إلى)، والتقدير ﴿اهدنا الى الصراط المستقيم﴾[1] ويستدل لذلك بمثل قوله سبحانه وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ [الشورى ـ ٥٢].

وبادىء ذي بدء أحب أن أقرر هنا، أن النظم القرآني امتاز بالدقة والإحكام، وإن هذه الدقة تنسجم وتتناسب مع السياق، وهل النظم إلا ترتيب اللفظ في النطق، ترتيبا يتفق مع المعنى المراد، ولو أننا أمعنا النظر في الآيات لرأينا ما يثلج الصدر، وتهتز له النفس طربا، والقلب خشوعا.

ولنقف مع هذه المادة في كتاب الله تبارك وتعالى، وكيف جاءت على نسق بديع، ونظام محكم ان فعل الهداية يجيء في كتاب الله تعالى مسندا الى الله حينا، والى غيره حينا آخر، ذلك لأن الهداية إما أن يراد منها التوفيق والإيصال، وإما إن يراد بها الدلالة والإرشاد. والفاعل الحقيقي في هذين

---

(١) اعراب القرآن ١٠٦/١.

المعنيين هو الله تبارك وتعالى، إلا أنها بالمعنى الثاني قد تسند الى غيره سبحانه، لذلك جاءت وهذه المادة لتكون من دلائل الإعجاز في كتاب الله سبحانه.

فإذا أسند هذا الفعل إلى الله سبحانه وتعالى، رأيناه في أكثر الآيات يتعدى بنفسه، وقد يتعدى بحرف الجر على قلة، لأن الهادي ـ أيّا كان معنى الهداية ـ هو الله سبحانه، وإذا جاء مسندا لغيره سبحانه فلا بد من أن يتعدى بحرف الجر، وتلك لعمر الحق دقة لا يستطيعها البشر، قال تعالى ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ وقال سبحانه ﴿وَهَدَيْنَـٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد ـ ١٠]، وقال سبحانه ﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [الفتح: ٢]، ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾، [النساء ٧٥]، وقال سبحانه حاكيا عن الرسل عليهم السلام: «وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا» [إبراهيم ١٢]، هذا ما أسند الفعل فيه إلى الله سبحانه من غير أن يوسط حرف الجر، وقد جاء على قلة ـ كما قلت ـ متعديا بحرف الجر، قال سبحانه ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الحج: ٥٤]، والذي يرجع إلى سياق الآيات يدرك الفرق الواضح بين هذه الآية التي وسط فيها حرف الجر (إلى) وبين الآيات السابقة التي عدى فيها الفعل بنفسه.

أما ما أسند الفعل فيه لغير الله تعلى، فمثل له بقوله سبحانه «واهدنا الى سواء الصرطا» (ص٢٢)، وهو ما قاله الذين تسوروا المحراب لداود عليه السلام، وقال تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى:٥٢]، وقال سبحانه ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الحج: ٤]، وقال تعالى: ﴿ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ [الصافات ـ ٢٣].

ومن هنا ندرك أنها ظاهرة أسلوبية في كتاب الله تعالى، وهي من دلائل

الإعجاز ـ كما قلت من قبل ـ لأن الله هو المبين الحقيقي، والموفق. أما هداية غيره سبحانه، فإنما هي إرشاد ودلالة لا يستقل أصحابها بها، وإنما هي تابعة لمشيئته سبحانه، ألا ترى إلى قوله سبحانه لنبيه ﷺ ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦]، وقوله سبحانه لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ [البقرة: ٢٧٢].

وهكذا ندرك أن القول بالحذف، ليس أغرب منه إلا ادعاء الزيادة في قوله سبحانه ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى ٥٢]، أعني زيادة (إلى) قياسا على قوله ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾، والحذف والزيادة توأمان، القرآن منهما براء.

وأخيرا ما أحرانا أن نتدبر هذه الآية ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾ [يونس ٣٥]، فانظر كيف كان الحديث عن الشركاء، وكيف كان الحديث عن الله، وكيف اختلف الفعل في الموضعين.

٢ ـ قوله سبحانه: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة: ١٣]. والتقدير: إلا من سفه في نفسه. والحقيقة أن الحرف الذي قدروه يُشَوِّهُ النظم، ويذهب برونق المعنى، فضلا على أنه لا حاجة له من حيث اللغة.

ولقد ذهب الأئمة الى أن قوله تعالى «سفه نفسه» معناه إلا من جهلها لأن السفه معناه الجهل، وتقدير الحرف المحذوف، بحيث يصير النظم «سفه في نفسه» ينبو عنه النظم الكريم ـ كما قلت ـ فليس المراد جهله في نفسه، فذلك أمر خاص به، وإنما المراد جهله نفسه واستخفافه بها. قال الشيخ الجمل رحمه الله تعالى:

«قوله: جهل أنها مخلوقة لله، أشار بهذا إلى أن سفه مضمن معنى جهل وقوله: أو استخف بها، أشار به إلى أنه متعد بنفسه من غير تضمين، وهما

وجهان حكاهما السمين، ونصه قوله نفسه: في نصبه وجهان أحدهما، وهو المختار أن يكون معفولا به لأن ثعلبا والمبرد حكيا أن سفه يكسر فيتعدى بنفسه كما يتعدى سفه بفتح الفاء والتشديد،وحكي عن أبي خطاب أنها لغةوهو اختيار الزمخشري فإنه قال سفه نفسه امتهنها واستخف بها، والثاني: أنه مفعول به، ولكن على تضمين سفه معنى فعل يتعدى فقدره ابن جني والزجاج بمعنى جهل، وقدره أبو عبدة بمعنى أهلك.

«قوله جهل أنها مخلوقة»: أي لم يستدل بما فيها من آثار الصنعة على الوحدانية وعلى نبوة نبينا بالمعجزة، والعرب تضع سفه موضع جهل، لأن من عبد حجرا أو قمرا أو شمسا أو صنما فقد جهل نفسه لأنه لم يعلم خالقها»[1].

٣ ـ قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ﴾ [البقرة: ٢٣٥]، قالوا: والتقدير: ولا تعزموا على عقدة النكاح، لأن عزم ـ كما يقولون ـ تتعدى بحرف الجر، يقال: «عزمت على كذا»، واستدلوا لذلك ببيت من الشعر، ولا أدري لم اكتفوا بهذا الموضع؟.

ولقد جاء قبل هذه الآية قوله تعالى ﴿ وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٢٧]، وعلى هذا ينبغي أن يكون في هذه الآية حرف محذوف كذلك، ولكننا نرد القول بالحذف:

أولا: لأن الآيتين جاءتا على نسق واحد، ونظام واحد، وكان هذا كافيا لرد قول أولئك وردعهم عن قولهم.

ثانيا: إن القول بأن عزم لا تتعدى بنفسها، قول يعوزه الدليل، وخير شاهد على ذلك التنزيل.

ثالثا: إن عزم هنا ضمنت معنى آخر، والتضمين بلاغة كما يقرر أئمة البيان، كأن يقال: ولا تنووا أو تتموا عقدة النكاح، أو تباشروا، أو تبتوا، أو تنفذوا.

(١) الجمل ١/١٠٨.

وأعلم أننا لا نوجب القول بالتضمين، ولكننا ذكرناه مساهلة لمن يرى أن عزم لا تتعدى بنفسها، ونحن لسنا مع هذا الرأي، فإن استدلوا بالشعر كان دليلنا القرآن، وهو خير ما يستدل به.

أما قولهم: «عزمت على كذا» أو «عزمت عليك أن تفعل كذا»، ففي الأول معنى التصميم، وهو يتعدى بـ «على»، وفي الثاني: معنى القسم.

والخلاصة: أنه لا داعي للقول بالحذف ـ كما رأيت ـ.

٤ ـ قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ ﴾ [آل عمران ١٧٥]، قالوا: والمعنى يخوف بأوليائه، بدليل فلا تخافوهم.

ولكننا نقول: لم لا يكون المعنى «يخوفكم أولياءة»، وهذا ما يدل له قوله سبحانه «فلا تخافوهم». إن خوف يمكن أن تتعدى للمفعولين بنفسها، دون واسطة حرف الجر، وقد مر لنا رأي آخر في تأويل الآية فيما مضى.

٥ ـ ومما كادوا يجمعون على الحذف فيه قوله سبحانه: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا﴾، [الأعراف ١٥٥]وأصل النظم عندهم: واختار موسى من قومه».

ولكن بعد تأمل في الآية الكريمة، نجد أن ابقاء الآية على ما هي عليه، أسد نظما، وأصح حكما، ذلك لأن هذا الفعل يتعدى بنفسه، هذا من جهة ومن جهة ثانية فإن معنى الآية دون اللجوء للحذف فيه مزية، سوف تتلاشى عند القول بالحذف، وإليك بيان ذلك:

«وإذا قلنا» واختار موسى من قومه سبعين رجلا»، فإن القوم هنا تشمل بني اسرائيل جميعا، ويصير المعنى ﴿اختار موسى من بني إسرائيل سبعين رجلا﴾.

ولكننا إذا أبقينا الآية على ما نزلت من عند الله تعالى، وكما قدر العزيز

العليم، يكون المعنى هكذا: «واختار موسى قومه، أي اختار موسى قومه الذين سيذهبون معه للمناجاة ، فتكون كلمة القوم هنا خاصة لأولئك الذين اختارهم موسى ـ عليه السلام ـ لا تعم بني إسرائيل جميعا، ثم ذكر لهؤلاء القوم الذين اختارهم موسى مزيد بيان، فقال سبعين رجلا، فيكون هؤلاء الذين اختارهم موسى ذكروا مرتين، ذكروا أولا بعنوان القوم، ثم ذكروا ثانيا ببيان العدد، ولا شك أن هذا فيه من التفخيم، والتعظيم ما لا يوجد في القول الأول الذي يعتمد الحذف، لأنهم على ذاك القول لم يذكروا إلا مرة واحدة، ألا ترى إلى ما أصاب موسى ـ عليه السلام ـ حينما أهلكوا.

٦ ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ۝٥١ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه ٥١ ـ ٥٢] والحرف المحذوف الذي قدروه هنا (عن)، أي لا يضل عن ربي.

وأعجب، ويعجب معي كل منصف كيف استساغوا مثل هذا التقدير، فهو مع ما فيه من تكلف، يذهب بجلالة النظم، وصحة المعنى، وإليك بيان ذلك:

يقول موسى ـ عليه السلام ـ إن أخبار القرون الأولى وأحوالهم عند ربي، في كتاب محفوظ، ولا يضيع الله منه شيئا، ولا ينسى منه شيئا كذلك، وتقدير حرف الجر يخل بهذا المعنى، لأن الفاعل لا يكون واحدا، مع أن الفعلين من واد واحد كما يدل عليه السياق، ﴿لا يضل ربي ولا ينسى﴾، أي ولا ينسى ربي، هذا هو المتبادر.

أما على ما ذهبوا إليه، فسيكون الفاعل للفعل الأول عائدا على الكتاب، أي لا يضل الكتاب عن ربي، والفاعل للفعل الثاني: ينسى عائد على الله، وهذا تفكيك للنظم، وتفتيت للسياق، حري بنا أن ننزه القرآن الكريم عنه.

٧ ـ قوله تعالى: ﴿ لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ [النور-٦٣].
والحرف الذي قدروه في هذه الآية الكريمة (على)، ومعنى الآية عندهم: لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم على بعض.

ولعل مما يدعو الى العجب أكثر من غيره ما زعموه من حذف في آية النور حيث قالوا: لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم على بعض.

وهذا التقدير: يفترض فيه أن المجتمع المسلم مجتمع تقاطع وكراهية فليس فيه إلا أن يدعو كل واحد على الآخر، وكأن الرسول عليه وآله الصلاة والسلام ـ وهو الرحمة المهداة، والنعمة المزجاة ـ ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾، أقول: كأن الرسول الكريم ﷺ ليس من شأنه إلا أن يدعو على الناس.

إن تقدير هذا الحرف لا أقول يذهب رونق النظم فحسب، ولا أقول يفسد به المعنى فقط، وإنما هو بعد ذلك كله يتناقض ويتنافى مع ما كان يتصف به النبي الكريم ﷺ من رحمة ومحبة من جهة، وبين ما كان عليه المجتمع المسلم الأول من جهة أخرى. كيف وقد قال الله تبارك وتعالى ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح ـ ٢٩].

فهل يتناسب هذا مع الحرف الذي قالوا بحذفه، اللهم: لا ومعنى الآية الكريمة:

أي: لا تجعلوا دعاء الرسول حينما يدعوكم كما يدعو بعضكم بعضا، أي إذا دعاكم الرسول ﷺ فلا بد أن تلبوا دعاءه، ولا يجوز لكم بحال ما أن تجلعوه كدعاء بعضكم لبعض.

فإضافة الدعاء الى الرسول ﷺ من إضافة المصدر لفاعله، وقد يكون المعنى: لا تدعو الرسول ﷺ وتنادوه كما يدعو بعضكم بعضا ويناديه. وإنما

ينبغي أن تعظموه ﷺ حين دعائكم ونداءكم له فتكون إضافة الدعاء إلى الرسول ﷺ من إضافة المصدر إلى مفعوله.

وعلى التفسير الأول تكون الآية حثا للمؤمنين أن يستجيبوا للرسول إذا دعاهم. وعلى التفسير الثاني تكون الآية حثا للمؤمنين كي يعظموا الرسول ﷺ إذا دعوه ونادوه.

وعلى كلا التفسير لا نجد مكانا للحرف الذي أدعوه محذوفا.

٨ - وقد قدروا الحذف في قوله سبحانه ﴿ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾ [القمر: ١٢]، ولكنهم هنا افتنوا في تقدير هذا الحرف، فتارة قالوا: إن المعنى وفجرنا من الأرض، فالمحذوف (من) وأخرى قالوا: إن النظم وفجرنا الأرض بعيون، فالمحذوف هو الباء، ويعلم الله أنه لا هذا ولا ذاك.

ولو إننا وقفنا مع سياق الآية الكريمة، لأدركنا ان السياق والمعنى يأبيان هذا الحذف، الآية جاءت حديثا عن الطوفان حينما دعا نوح ربه أني مغلوب، فانتصر الله له ﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ۝ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا ﴾ [القمر: ١٢]، ان السياق يدل على تهويل الأمر، وكيف كانت السماء كلها أبوابا، وكيف كانت الأرض كلها عيونا، إن القول بالحذف سواء كان ﴿فجرنا من الأرض عيونا﴾ أم ﴿فجرنا الأرض بعيون﴾ لا ينسجم مع ما يريده القرآن، ذلك لأن ما يريد أن يبينه القرآن الكريم، إن الماء كان يعم هذا الكون سماء وأرضا، فليست هناك عيون خاصة فجرت من الأرض أو فجرت بها الأرض.

ولعلك تعجب إذا عرفت أن عشاق الزيادة وقفوا عند قوله سبحانه ﴿وفجرنا فيها من العيون﴾ فقدروا أن هنا حرفا زائدا وهو من، ولو أنصف هؤلاء وأولئك لوقفوا مع النص القرآني فيما يرشد إليه، وفي سياقه الذي يتفق

مع نظمه، ولأدركوا أن لا حذف في الآية الأولى، لأنها جاءت في سياق الحديث عن الطوفان، وأن لا زيادة.

٩ ـ وأخيرا نقف مع قوله سبحانه ﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾ [المزمل ١٧].

ولقد أبوا إلا أن يجعلوا حرفا محذوفا كذلك في هذه الآية، ونظم الآية عند هؤلاء، فكيف تتقون إن كفرتم بيوم.

ولا أدري كيف يمكن أن يتم المعنى على هذا التقدير، وهل من كفر باليوم الآخر يمكن أن يوبخ على عدم التقوى، وهل بعد الكفر ذنب، ذلك معنى ينفر منه الطبع والذوق، والمعنى المتبادر من الآية الكريمة: كيف تتقون يوما عظيما، وتخلصون أنفسكم مما فيه من هول، إن اخترتم الكفر على الإيمان؟ فيكون يوما مفعولا لـ «تتقون».

وأكتفي بهذا القدر. والحق أنهم أسرفوا كثيرا في إقحام الحرف بين الزيادة والحذف، والذين يتدبرون آي القرآن الكريم سيجدون من روعة النظم ما تزكو به نفوسهم، قد يذكر القرآن الكريم حرفا في آية ويحذفه في أخرى، ولكل من الحذف والزيادة موقعة وموضعه.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

كشاف المراجع

١ - الأزهر، مجلة الأزهر - ابتداء من عدد شوال ١٣٨٦هـ.

٢ - الاستراباذي، رضي الدين الاستراباذي - شرح الكافية في النحو - دار الكتب العلمية - بيروت.

٣ - التنوخي، أبو المحاسن المفضل بن محمد التنوخي المعري - تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم - تحقيق د. عبدالفتاح الحلو - نشر جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض - ١٠١٤هـ.

٤ - الجمل، سليمان بن عمر العجيلي الشافعي الشهير بالجمل - الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية - مطبعة الحلبي بمصر.

٥ - ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني - الخصائص - تحقيق محمد علي النجار - دار الهدى للطباعة والنشر - لبنان.

٦ - أبو حيان، أبو حيان الأندلسي الغرناطي - البحر المحيط - طبعة/١ سنة ١٣٢٨هـ - مطبعة الساعدة بمصر.

٧ - دراز، محمد عبدالله دراز - النبأ العظيم - دار القلم - الكويت - الطبعة الثانية ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

٨ - الرازي، - التفسير الكبير - الطبعة الأولى - طبع عبدالرحمن محمد بميدان الأزهر بمصر.

٩ - الرافعي، مصطفى صادق الرافعي - إعجاز القرآن والبلاغة النبوية - دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة التاسعة - ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

١٠ - رضا، محمد رشيد رضا - تفسير القرآن الحكيم الشهير بالمنار - الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - الطبعة الثانية.

١١ - الزجاج، إعراب القرآن المنسوب للزجاج - تحقيق ودراسة ابراهيم الأبياري - وزارة الثقافة والارشاد القومي - المؤسسة المصرية العامة للتأليف - القاهرة ١٩٦٣م.

١٢ - الزركلي، خير الدين - الأعلام - دار العلم للملايين - بيروت - لبنان - الطبعة الرابعة - ١٩٧٩م.

١٣ ـ الزركشي، ـ البرهان في علوم القرآن ـ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ـ الطبعة الأولى ١٣٦٧هـ/ ١٩٥٧م ـ دار إحياء الكتب العربية ـ عيسى البابي الحلبي بمصر.

١٤ ـ الزمخشري، ـ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ـ الطبعة الأولى ـ مطبعة الاستقامة ـ القاهرة ـ ١٣٦٥هـ ـ ١٩٤٦م.

١٥ ـ الصبان، محمد بن علي الصبان، أبو العرفان ـ حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ـ ملتزم الطبع والنشر دار إحياء الكتب العربية ـ عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر.

١٦ ـ الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن ـ الطبعة الأولى ـ المطبعة الكبرى ـ بولاق ـ مصر المحمية ١٣٢٣هـ.

١٧ ـ أبو عبيدة، معمر بن المثنى ـ مجاز القرآن ـ الطبعة الأولى ـ ١٣٨١هـ ١٩٦٢م ـ مكتبة الخانجي بمصر.

١٨ ـ العكبري، أبو البقاء عبدالله بن الحسين العكبري ـ إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن ـ دار العلم للجميع.

١٩ ـ الفراء، معاني القرآن ـ عالم الكتب بيروت ـ الطبعة ٢ سنة ١٩٨٠م.

٢٠ ـ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ـ مطبعة دار الكتب المصرية ـ القاهرة ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م.

٢١ ـ ابن القيم، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي ـ زاد المعاد في هدى خير العباد ـ تحقيق شعيب الأرناؤوط ـ ط١ ـ ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م ـ مكتبة المنار الإسلامية.

٢٢ ـ ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي ـ شرح المفصل عالم الكتب ـ بيروت ـ مكتبة المتنبي ـ القاهرة.

٢٣ ـ الهروي، الأزهية في علم الحروف ـ تحقيق عبدالمعين الملوحي ـ مطبوعات مجمع اللغة العربية/ دمشق سنة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٢٤ ـ لاشين، الدكتور عبدالفتاح لاشين ـ الفاصلة القرآنية (من أسرار التعبير القرآني) ـ دار المريخ للنشر ـ الرياض.